

العنوان :

فكرة الخطيئة في الفلسفة المسيحية

"القديس أوغسطين نموذجا"

مذكرة مكسلة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

خوضر رياض

إعداد الطالب:

بوعبدالله رضوان

السنة الجامعية: 2017/2016

أهدى
عبد الله

أهدى ثمرة جهدي إلى:

الوالدين الكريمين وإخوتي

ومن ملامي في قسم الفلسفة

وإلى كل من يناضل في سبيل البحث الفكري

والعلمي الأكاديمي

بوعبد الله رضوان

سألكم وأحسب أني قد

أقدم بفائق التقدير والاحترام للأستاذ المحترم خوضر مرياض الذي أشرف على
مذكرتي، كما أقدم بالشكر الجزيل للأساتذة قسم الفلسفة وكل من
ساعدني ومد لي يد العون من قريب أو بعيد، وإلى كل زملائي وزميلاتي بجامعة

محمد بوضياف المسيلة

بوعبد الله رضوان



مقدمة

مقدمة:

لقد خلق الله الإنسان على صورته، وفضله عن سائر المخلوقات الأخرى بالعقل، وجعل العقل مناط التكليف، وأنزل إليه الشرائع الدينية، وجعلها ملائمة للفطرة الإنسانية، وهذا يعني أن الله قد أمر الإنسان بالطاعة ونهاه عن المعصية بعد أن وضح له طريق الإيمان وفتح له سبيل الرشاد وحذره من الوقوع في المعاصي والابتعاد عن المزلات واقتراف الخطايا، وجعل الإنسان مخيراً بين أن يمضي في طريق الإيمان أو الكفر، ولكن الإنسان ليس مخلوقاً كاملاً، وبالتالي فهو لا يتصف بالمطلقية إذ أن الواحد منا يندفع إلى الخطأ لأن الإنسان أولاً وأخيراً ليس ملاكاً يتصف بمطلقية الطاعة لا يعصي الله، ويفعل ما يؤمر به، فالدين لم ينف الإنسان من صفة الأدمية، ومع ذلك فإن الإنسان بشر يؤمن ويكفر ويخطئ ويصيب، فالإيمان هو عمل يتصف بالزيادة أو النقصان أو بعبارة أخرى هو عبارة عن درجات، فهناك قواعد وأحكام من شأنها أن تدفع الإنسان بعدم الوقوع في الخطايا والذنوب، وعلى العكس من ذلك، فالدين وفر وشرع ما من شأنه أن يرجع الإنسان إلى الإيمان بعد وقوعه في الخطايا والذنوب، لذلك فإن مفهوم الخطيئة يعتبر من المواضيع التي نالت حظها من الدراسة بين المفكرين عامة وعلماء الدين خاصة، كما أنها قد تختلف في مفهومها في بعض الأديان وعند بعض المفكرين والعلماء، وعليه كان موضوع مذكرتي يندرج تحت عنوان "الخطيئة في الفكر الفلسفي المسيحي، القديس أوغسطين نموذجاً" وقد طرقت باب البحث في هذا الموضوع بغية تسليط الضوء على نموذج كان له دور كبير في تأصيل الفكر الفلسفي المسيحي طالما أن فكرة الخطيئة هي الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة المسيحية هذا من جهة، ومن جهة أخرى أيضاً فكرة الخطيئة كما تناولها القديس أوغسطين وكذلك قلة الدراسات الفلسفية التي تناولت فكرة الخطيئة بالإضافة إلى ذلك رغبتني في الوقوف على رأي القديس أوغسطين الذي حاول بناء فلسفته بواسطة مدينة الله التي أصبحت هي العنوان الرئيسي لفلسفته عامة وتأتي بعدها تشكيل مركزية تلتف حولها باقي المباحث الأخرى محاولاً في ذلك الوصول إلى معرفة فكرة الخطيئة عنده وعليه تكون الإشكالية المطروحة كالتالي:

ما طبيعة الخطيئة عند القديس أوغسطين؟

وهذه الإشكالية تندرج فيها مشكلات فرعية منها:

كيف تم تفسير الخطيئة عند المسيحيين؟ وما علاقة الخطيئة بكل من الإرادة، والتاريخ

والسياسة عند القديس أوغسطين؟

وللإجابة على هذه الإشكالية وما يتفرع عنها من مشكلات اتبعنا الخطة التالية:

مقدمة: عبارة عن مدخل عام يمهد لموضوع البحث وجوانبه المختلفة بوضوح ودقة مع

ذكر عنوان المذكرة والأسباب التي دفعتنا على معالجة هذا الموضوع، يليها طرح الإشكالية

الأساسية والمشكلات التي تتفرع عنها مع ذكر الخطة والمنهج المعتمد في هذه الدراسة

وأخيرا الصعوبات التي صادفتنا في معالجة هذا الموضوع.

وقد قسمنا بحثنا إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول يعالج موقع الخطيئة في الرؤية المسيحية في ثلاثة مباحث، عالج هذا

الفصل مفهوم الخطيئة، وكذلك موقف المسيحيين من خطيئة آدم بعد أن خلقه الله وأسكنه

فسيح جنانه أباح له الأكل من جميع ثمارها إلا شجرة معرفة الخير والشر وحذره أنه إذا أكل

منها سيكون مصيره الموت فخالف آدم وصية الله فأكل من الشجرة هو وزوجه حواء بإغراء

من إبليس، فطرد الله آدم من الجنة بعد أن فصلت الخطيئة بينه وبين الله، فصار آدم بعيدا

عنه بسبب خطيئته التي توارثها أبنائه من بعده، وكذلك الخلاص من تلك الخطيئة حين

أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم وذلك بموته على الصليب مكفرا عن

خطاياهم.

أما الفصل الثاني فعالج مشكلة الخطيئة عند القديس أوغسطين كما تناولها، وحاولت

من خلاله ربط الخطيئة باللفظ الإلهي أي النعمة الإلهية والتي هي العلم الذي ينبغي أن

يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن نظام، أو هي حفظ وتوجيه نظام الوجود بإرادة

الله، كما عالجت أيضا فكرة الخطيئة لدى القديس أوغسطين وذلك بسرد القصة كاملة مبينا

علاقتها بالإرادة أو الحرية لديه.

أما الفصل الثالث فحاولت أن أعالج من خلاله علاقة الخطيئة بالتاريخ، وعلاقتها بالفكر السياسي عند القديس أوغسطين وذلك من خلال دور العناية الإلهية في تحريك التاريخ فالأحداث والظواهر التاريخية خاضعة لمشيئة الله وحده، أما علاقة الخطيئة بالفكر السياسي فأردت أن أبين من خلالها النتائج التي ظهرت من الخطيئة أي من السعادة إلى الشفاء الأبدي ويعني ذلك ظهور الحرب والفساد والعبودية.

ولقد ختمت بحثي بخاتمة تضمنت حوصلة ونتائج للعناصر التي توصلت إليها في البحث.

وقد قمت في كل فصل بتحليل عناصره ورصد أبعاده الفكرية معتمدا في ذلك على المنهج التحليلي بالدرجة الأولى، حيث يعتبر هذا الأخير إجراء منهجي يخدم العرض، ويظهر جليا في البحث من خلال تحليل الأفكار إلى عناصر أبسط، وكذلك في تحليل أقوال القديس أوغسطين.

وقد استخدمت لإنجاز بحثي مجموعة من المصادر والمراجع، فمن بين المصادر كتاب مدينة الله بأجزائه الثلاث، وكتاب الاعترافات، أما المراجع فقد استندت من مراجع كثيرة قربي إلينا صورة فلسفة القديس أوغسطين مثل كتاب لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين لزوينب الخضري، وروح الفلسفة القديمة في العصر الوسيط.

وكل بحث أكاديمي لم يكن الطريق سهلا أمامي فلقد واجهتني عدة صعوبات من أهمها على الإطلاق تلك المتعلقة بالمصادر والمراجع، فالمراجع التي تتكلم عن المسيحية وإن وجدت فهي قليلة أما المصادر فلم نعثر على مصدر قريب لأوغسطين مما اضطرني للعودة إلى الترجمات وبعض الشروحات المنثورة هنا وهناك، أضف على ذلك تراكم فكر القديس أوغسطين إلى عدة مواضيع مختلفة، إلا أن هذه الصعوبات لم تنقص من عزمي للقيام بهذا البحث وإنجازه في هيئته هذه.



موقع الخطيئة في الرؤية المسيحية

المباحث :

- ❖ مفهوم الخطيئة
- ❖ خطيئة آدم وموقف المسيحية منها
- ❖ الخلاص من الخطيئة عند المسيحية

يعتبر موضوع الخطيئة من أهم المواضيع في الفكر الديني البشري، فهي بذلك تختلف باختلاف الديانات، فنجد أن الإسلام قد بين لنا في القرآن الكريم موضوع الخطيئة التي وقع بها آدم عليه السلام، وقد بينها القرآن الكريم بوضوح، لكن هذا الوضوح لا يوجد في الديانات الأخرى وخاصة المسيحية منها، لأن قصة آدم ووقوعه في الخطيئة هو وزوجه حواء قد مسها الكثير من التحريفات، لذلك نحاول بداية أن نعرض إلى مفهوم الخطيئة وكذلك موقف المسيحية من خطيئة آدم وطريق الخلاص منها وهنا نتساءل :

ما موقع الخطيئة في الرؤية المسيحية؟ أو بعبارة أخرى كيف عالجت الفلسفة المسيحية

موضوع الخطيئة؟

المبحث الأول: مفهوم الخطيئة

أ- لغة:

الخطيئة لغة: جاء تعريف الخطيئة في لسان العرب: "الخطأ والخطاء ضد الصواب، وتخطأ له في هذه المسألة وتخطأ كلاهما أراه أنه مخطئ فيها، وأخطأ الطريق عدل عنه وأخطأ الرامي الغرض له يصبه، وقيل خطئ خطأ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد، وقيل أيضا خطئ في الدين وأخطأ في كل شيء عامداً كان أو غير عامد، يقال رجل خطاء إذا كان ملازماً للخطايا غير تارك لها، ويقال قد خطئت إذا أقمت فأنا أخطأ وأنا خاطئ، والخطيئة على وزن فعيلة الذنب ولك أن تشدد الياء"¹.

وقد عرّف الراغب الأصفهاني الخطيئة بقوله: "الخطيئة والسيئة يتقاربان لكن الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصوداً إليه في نفسهن بل يكون القصد سبباً لتولد ذلك الفعل منه والخاطئ هو القاصد للذنب"².

وهذا يعني أن الخطأ يختلف في معانيه، واضرب مثالا على ذلك خطيئة آدم عليه السلام فليس المقصود هنا أنه قد تعمد معصية الله بأكله من الشجرة، والدليل على ذلك قوله تعالى: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً"³

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، ج1، د.ت، ص 65.

² الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، ط1، د.ت، ص 157.

³ سورة طه، الآية 115.

ب- اصطلاحاً:

عرف الجرجاني الخطيئة بقوله: "الخطأ هو ما ليس للإنسان فيه قصد، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد ويصير شبهة في العقوبة من لا يؤثم الخاطيء ولا يؤخذ بحد ولا قصاص ولم يجعل عذرا في حق العباد من وجب عليه ضمان العدوان ووجبت به الدية"¹.

فالخطأ الذي ليس للإنسان فيه قصد قد يكون في حق الله وقد يكون في حق العباد، فالأول إذا حصل عن اجتهاد لا يؤثم به صاحبه ولا تترتب عليه عقوبة، أما الثاني فيترتب عليه وجوب ضمان العدوان وتجب به الدية في حالة القتل الخطأ، أما الخطيئة في المعجم الفلسفي لجميل صليبا فهي: "الخطيئة الفرنسية péché في الإنجليزية (Sin)، في اللاتينية peccatum, culpa، وهي الذنب، وقيل المتعمد منه، وجمعها خطايا، وهي في الاصطلاح التهاون بشريعة الله أي ارتكاب ما نهى الله عنه، والامتناع عما أمر به أو كل إثم خطيئة، ويشترط في مخالفة الأوامر والنواهي أن يكون الفعل متعمداً، أما علماء اللاهوت يردون أصل الخطيئة إلى ارتكاب أبينا آدم ما نهى الله عنه، وليس أحد من البشر في نظرهم مجردا من الخطيئة، وتسمى خطيئة آدم بالخطيئة الأصلية peccotum originans فالخطيئة بنيه من بعده peuatum originatum وهي حالة للإنسان لازمة عن الخطيئة الأولى"²

إذن إن مفهوم الخطيئة عند علماء اللاهوت يمكن ضمن خطيئة آدم عليه السلام، بل وأكثر من ذلك فهم يعتمدون على مسألة توريث الخطيئة من آدم عليه السلام إلى ذريته من بعده، وهذا ما تقر به آراء بولس.

¹ علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، ص 72.

² جميل صليبا، معجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،

ج1، 1982، ص 535.

والخطيئة عند وليمسن هي: "التعدي على شريعة الله أو عدم الامتثال لها"¹ ومعنى هذا أن الإنسان يكون مذنباً لأنه يدل الأشياء التي لا يريد الله وهذا هو معنى التعدي، فمثلاً خطيئة آدم عليه السلام، فهو خالف وصية الله بأكله من الشجرة وهو فعل هذا بكامل دريته وبذلك هي خطيئة ضد الله، لأن آدم فعل ما لا يريده الله.

كما جاء تعريف الخطيئة في كتاب كيف تنتصر على الخطيئة؟ أنها "انتهاك متعمد وخرق مقصود سواء بالفكر أو بالفعل لما نعرف في لقوبنا وضماننا أنه صواب وحق، وهي الاستسلام للإغراء والخضوع للتجربة ونحن نعرف في قرارة أنفسنا أنها خطأ وأنها ستسبب في النهاية ألماً لنا وللآخرين والخطيئة هي عصيان ضد الله"²، إن هذا التعريف لا يشير إلى الخطايا التي يقع فيها الإنسان عن طريق السهو والنسيان أو الإكراه، بل وإنه ما دام أن للبشر عقولاً فارتكاب الخطيئة هو أمر قاموا به بمحض إرادتهم.

والخطيئة في اصطلاح المسيحيين تعني: "التعدي على شريعة الله وأحكامه أو عدم الامتثال لشريعة الله، ويدل على ذلك ما ورد كل من يفعل الخطيئة بفعل التعدي أيضاً، والخطيئة هي التعدي"³ وهذا يعني أن الخطيئة هي التهاون بشريعة الله أو عصيان الله مباشرة.

والخطيئة في الكتاب المقدس كما يرويها العهد القديم * "كل خطيئة هي ضد الله"⁴، مما يبين أهمية خطورة الخطيئة والتي يلزم عنها فعل التعدي، أضف على ذلك أن العهد القديم قد بين أن كل إنسان مسؤول مسؤولية فردية عما يفعله من خطايا، وبالتالي يقول سفر حزقيال:

¹ ج. أ. وليمسن: تفسير أصول الإيمان، تر: فايز فصيل، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، د ط، ج 1، د.ت، ص 54.

² فلوريد ماكلونج: كيف تنتصر على الخطيئة، تر: فريد عبد المالك، مكتبة المنار، مصر الجديدة، ط 1، 1998، د.ت، ص 18.

³ أحمد علي عجيبة، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط 1، 2006، ص 171.

* العهد القديم: من المصادر الأساسية لدى النصارى، فهو كما يقول د/ فهم عزيز "الكتاب المقدس للكنيسة الأولى وللمسيح من قبل"، انظر أحمد علي عجيبة، مرجع سابق، ص 18.

⁴ إبراهيم الأنبا بشوي، قاموس الآيات لتكوين العظات، مكتبة المحبة، القاهرة، مصر د ط، 1967، ص 13.

"ومع ذلك تقولون: لماذا لا يعاقب الابن بوزر أبيه؟ حين يمارس الابن الإنصاف والحق ويعمل بكل فرائضي فإنه حتما يحيا، أما النفس التي تخطئ فهي تموت، لا يعاقب الابن بإثم أبيه ولا الأب بإثم ابنه، يكافأ البار بيره ويجازى الشرير بشره"¹، وهو ما يؤكد العهد القديم بأن الخطيئة لا تورث وأن كل إنسان مسؤول عن أفعاله ويقرر العهد القديم أن الخاطئ إذا رجع عن خطيئته والتزم بما أمر الله به من فرائض يكون ذلك بمثابة الحياة وتغفر له خطاياها حيث جاء في سفر حزقيال: "ولكن إذا رجع الشرير عن خطاياها كلها التي ارتكبها ومارس جميع فرائضي وضع ما هو عدل وحق فإنه حتما يحيا لا يموت ولا تذكر له جميع آثامه التي ارتكبها إنما يحيا بيره الذي يعمله"²

أما العهد الجديد* فقد أقر بأن الخطيئة تبعد الإنسان عن طريق الله، يقول بولس: "الجميع قد أخطأوا وهم عاجزون عن بلوغ ما يمجد الله"³، إنه وبحسب ما يقره العهد الجديد أن العالم كله قد وقع تحت الخطيئة وأنه لا يوجد إنسان حي لم يخطئ، ويقول بولس في موضوع آخر: "إذ نعلم أن الإنسان لا يبرر بأعمال الناموس لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما"⁴، فبولس في هذا النص يزعم: "أن الإنسان مهما كان خاطئاً ثم تاب عن خطيئته وآمن بالمسيح فإنه يتبرر في الحال"⁵ وهذا يعني لنا أنه إذا آمن بالمسيح الذي مات من أجله على الصليب، فإن توبته قد قبلت، ويروي لنا العهد الجديد في خطيئة آدم حيث يقول بولس: "ولهذا فكما دخلت الخطيئة إلى العالم على يد إنسان واحد وبدخول الخطيئة دخل الموت،

¹ الكتاب المقدس، سفر حزقيال، الإصحاح: 18/15-20.

² الكتاب المقدس، سفر حزقيال، الإصحاح: 18/21-23.

* العهد الجديد: يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية: القسم الأول: الأسفار التاريخية وهي خمسة أسفار، إنجيل متى، مرقس، لوقا، يوحنا، سفر أعمال الرسل، القسم الثاني يتكون من الأسفار التعليمية وهي رسائل بولس، أما القسم الثالث فيتكون من رؤيا يوحنا وتسمى إعلاننا وهو السفر الأخير من العهد الجديد، أنظر أحمد على عجيبة، مرجع سابق، ص 19.20.21.

³ الكتاب المقدس، سفر رومية، الإصحاح: 3/23.

⁴ الكتاب المقدس، سفر غلاطيه، الإصحاح: 2/16.

⁵ ج.أ. ولمسن، تفسير أصول الإيمان، مرجع سابق، ص 132.

وهكذا جاز الموت على جميع البشر لأنهم جميعاً أخطأوا¹ إن الخطيئة دخلت إلى العالم على يد آدم عليه السلام وبدخولها حكم الموت على جميع البشر.

وبهذا فإننا نجد الكثير من الكتب المسيحية التي تتحدث عن الخطيئة الأصلية، والخطيئة الأولى، إلا أنهم يفرقون بينهما، حيث يرى سبرول: "أن الخطيئة الأصلية تشير إلى نتيجة الخطيئة الأولى، أي فساد الجنس البشريين وتشير الخطيئة الأصلية إلى حالة السقوط التي ولد فيها البشر"²، وعلى هذا فإن الخطيئة أصل في طبيعة الإنسان وليس للمجتمع أي تأثير عليه.

¹ الكتاب المقدس، سفر روميه، الإصحاح: 12/5

² ر.ك سبرول، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، تر: نكلس نسيم، مكتبة المنار، القاهرة، مصر، د ط، 2000، ص

المبحث الثاني: خطيئة آدم وموقف المسيحية منها

تبني الفلسفة المسيحية عقيدتها على الخطيئة أي خطيئة آدم، لكن قبل الحديث عن تلك الخطيئة لا بد علينا أن ندرج في هذا المبحث كيف خلق الله الإنسان في نظر المسيحية وعلى هذا الأساس يمكن طرح التساؤل الآتي: كيف خلق الله آدم عليه السلام؟ وما هي طبيعته الروحية والجسدية؟ وبعبارة أخرى ما هي السمة البارزة والصورة الحقيقية له؟

يروى سفر التكوين أن الله تعالى قد خلق آدم من تراب الأرض حيث يقول: "ثم جبل الرب الإله آدم من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية"¹، وفي الصدد يقول كلايد تارنر: "إن للإنسان طبيعة مزدوجة جسدية وروحية، أي أن للإنسان جسداً ونفساً"² مما يعني لنا أن لآدم طبيعته الجسدية والنفسية فيصبحان طبيعة مزدوجة ومنه ينتج لنا شخصية واحدة، وأما حواء التي هي أم كل حي فهي جزء من آدم وضلع من أضلاعه، حيث يروي سفر التكوين: "فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحماً وبني الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تدعى امرأة لأنها من أمري أخذت"³، أما عن طبيعة الإنسان الروحية فلقد خلقه الله على صورته وهي ميزة انفرد بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى وهذا ما يرويه سفر التكوين: "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه نكراً وأنتى خلقهم"⁴ إن عبارة على صورته كشبهنا لا تعنى هنا أن الله له روح، بل المقصود هنا "بل الصورة الروحية والنفسية، فلإنسان روح خالدة لا تقنى، وفقل يدرك الخير والشر،

¹ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 7/2.

² كلايد تارنر، هذه عقائدنا، المنشورات المعمدانية، ط2، 1982، ص47.

³ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 21/2-23.

⁴ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 26/1-27.

وشعور حسي، وفي هذا يمتاز الإنسان على سائر الخلائق¹، إذن بعد كل هذا تبين لنا بوضوح على أن الله هو الخالق الوحيد للكون بأمره، لذلك أعطى القدرة للإنسان من لا يقع في الخطيئة لأن الله بطبيعته دون خطيئة وهو غير محدود.

ويذكر الكتاب المقدس أن الله تعالى بعد أن خلق آدم في حالته الجسدية والروحية وضعه في جنة عدن وهو ما يروي سفر التكوين قائلا: "وأقام الرب الإله جنة في شر في عدن، ووضع هناك آدم الذي جبله"² وهو المكان الذي يعرف بـ: "مسكن آدم بعد خلقه قبل المعصية"³، ثم نجد سفر التكوين يصف لنا أيضا ما يوجد بداخل تلك الجنة من أشجار وثمار وبهاء النظر فيها: "واستتبت الرب الإله من الأرض كل شجرة بهية للنظر ولذيذة للأكل، وغرس أيضا شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر في وسط الجنة"⁴، مما سبق يمكن تلخيص ما يلي:

- 1- خلق آدم من تراب الأرض.
- 2- الجنة التي كان يسكنها آدم هي جنة عدن.
- 3- التأكيد على وجود نوعين من أشجار الجنة (شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر)

ذكر الكتاب المقدس أن الله تعالى بعد أن أخذ آدم ووضع في جنة عدن عين له اسم الشجرة المحرمة كما ورد في سفر التكوين: "وأمر الرب الإله آدم قائلا كل ما تشاء من جميع أشجار الجنة، ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنك حين تأكل منها حتما تموت"⁵، لقد أندر الله تعالى آدم بعدم الأكل من تلك الشجرة المحرمة، وإلا سوف يكون مصيرك الموت، كما يروي لنا الكتاب المقدس من عداوة الشيطان للإنسان والمتمثلة على

¹ إبراهيم سعيد ونخبة من اللاهوتيين، الدين المسيحي للمرحلة الثانوية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، د ط، 1991، ص 27.

² الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 8/2.

³ أحمد على عجيبة، المرجع السابق، ص 138.

⁴ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 9/2.

⁵ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 16/2-17.

وجه الخصوص في عداوة أبو البشرية آدم مما يبين لنا خطورته وحرصه على إغواء آدم وحواء للوقوع في المعاصي والخطايا بأي وسيلة كانت وهو ما ورد في سفر التكوين: "وكانت الحية أجبل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة: أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل أما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنتفخ أعينكما وتكونان كالله عارفي الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضا فأكل معها"¹

ويروي هذا النص أن الشيطان تنكر لحواء في صورة حية، وتمكن من خداعها بأن زين لها الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، وقد استخدم الشيطان حيلة الكذب، بأن الشجرة لا تسبب لهما الموت وبالتالي أبعد الخوف عنهما، وقال لهما بأنهما سيصبحان قادران على التمييز بين الخير والشر، عندها رأت حواء أن ثمار الشجرة لذيدة المأكل ومثيرة للنظر، وقعت في الخطيئة أي أكلت من الشجرة وأعطت زوجها فأكل معها، وبعد أن وقع آدم وحواء في الخطيئة بأكلهما من تلك الشجرة المحرمة، يروي لنا الكتاب المقدس أن حالهما قد تغير عن الحالة التي كانا يعيشان عليها، وهو ما يروي سفر التكوين: "فانفتحت للحال أعينهما وأدركا أنهما عريانان فحاطا لأنفسهما مآزر من أوراق التين"² وقد جاء في شرح هذا النص: "أن آدم وحواء بوقوعهما في الخطيئة فقد اختارا طريق العصيان وباختيارهما هذا فقد اختار الله طريقة... فلم يكن يسمح للخطيئة أن تمر بلا عقاب، ولذلك كانت عقوبة آدم وحواء شديدة الصرامة لأن خطيئتهما هي التي بدأت الميل الدائم لعصيان الله في العالم بسبب توريث آدم وحواء هذه الطبيعة الخاطئة لذريتهما من بعدهما"³، بسبب الوقوع في

¹ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 1/3-6.

² الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 7/3.

³ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص 13.

الخطيئة فإنه قد يكون بأن آدم وحواء قد اختارا الطريق إلى العصيان ، لأن الخطيئة في حد ذاتها هي العصيان وانتهاك حرمة الله ، أما مسألة توريث الخطيئة فهي مسألة لا يقر بها العهد القديم.

ومن هنا كانت أول عقوبة لآدم وحواء بعد وقوعهما في الخطيئة أنهما قد اصبحا عريانين وهذا ما جعلهما يشعران بالذنب وهو ما يرويه سفر التكوين: "من قال لك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عن الأكل منها فأجاب آدم: إنها المرأة التي جعلتها رفيقة لي هي التي أطعمتني من شمر الشجرة فأكلت فسأل الرب الإله المرأة: ماذا فعلت، فأجابت أغوتتي الحية فأكلت"¹، وفي هذا الصدد نجد في شرح رسالة القديس بولس إلى أهل رومية أنه: "وقع آدم تحت الحكم الإلهي وأخذ عقاب اللعنة وهي الحرمان من نعمة الله، والموت هو التوقف عن مسيرة الخلود، وسلم آدم ذريته هذه الطبيعة، طبيعة غير منفتحة على الله، بل منفتحة على الشيطان، طبيعة تحت اللعنة بمعنى أنها خالية من نعمة الله، قابلة للموت بمعنى توقفها عن الخلود أي الحياة الأبدية"² إن أول عقاب أخذ آدم عليه السلام هو عقاب اللعنة والحرمان من نعمة الله، ويروي سفر التكوين العقوبات التي ترتبت على خطيئة آدم بقوله: "وقال آدم، لأنك أذعنت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي نهيتك عنها، فالأرض ملعونة بسببك وبالمشقة تقعات منها طوال عمرك، شوكا ومسكا تنبت لك وأنت تأكل عشب الحقل، يعرق جبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض فمن تراب أخذت وإلى تراب تعود"³ وهنا يمكن القول بأن حواء هي التي تسببت في خطيئة آدم بأكله من الشجرة وأن آدم قد أخطأ عندما سمع لقول امرأته حواء، وبالتالي فقد خالف أوامر ربه، ومنه فالعقوبات التي تخص آدم هي:

¹ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 12.11/3.

² الأب متى المسكين، شرح رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية، مطبعة القديس أنبا مقار، ط1، 1992، ص 91.

³ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 19.17/3.

- 1- جعل الأرض ملعونة بسببه.
 - 2- مشقة آدم في الحصول على قوته من الأرض طوال حياته.
 - 3- تغيير حياته من السعادة والراحة التي كان عليها في الجنة إلى حال الشقاء والتعب على الأرض.
- وأما العقوبات التي ترتبت على خطيئة حواء يرويها سفر التكوين بقوله: "ثم قال للمرأة أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولادا إلى زوجك اشتياقك وهو يتسلط عليك"¹، ومنه فالعقوبات التي ترتبت على خطيئة حواء هي:
- 1- تكثير أوجاعها وآلام مخاضها.
 - 2- اشتياقها لزوجها في مقابل تسلطه عليها.

إذن المسيحية ترى في أن خطيئة آدم "إن الإنسان الأول سقط في عثرة العصيان وبسقوطه هذا أصبح واقعا تحت حكم الموت الذي أنذره به الله تعالى عندما وضعه في الجنة عدن مقضي به عليه كما أنه قد خسر كماله الأدبي الذي خلقه الله عليه، وأصبح خاضعا لناموس الفساد، وسلطان الخطية"² ومما يزيد القول أكثر يقينا فإن الموت الجسدي سببه هو خطيئة آدم التي أورها لذريته من بعده حيث "الموت الجسدي سببه خطيئة آدم التي ورثها الناس عنه وأن الإنسان خالد، وأن آدم لو لم يخطئ لما مات ومات البشر من بعده، وتعتبر أن الموس ليس من ضع الله، لأن الله خالد وخلق الإنسان على صورته ذاته خالد أيضا"³ وبالتالي يكون الموت الجسدي بسبب خطيئة آدم وأنه لو لم يقع في تلك المعصية لما مات والبشر جميعا، أضف على ذلك أن المسيحية تعتبر أن الموت ليس من صنع الله طالما أنه خلق الإنسان على صورته بصفة أن الله خالد، ومنه فالإنسان يكون على نفس الصورة خالد أيضا ويتمتع بصفة الأبدية، يقول إبراهيم لوقا:

¹ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح: 17.16/3.

² إبراهيم لوقا، المسيحية في الإسلام، مطبعة المسيحية، ط1، 1983، ص 159.

³ فرج أبو عطا، اليوم الأخير بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1991، ص 71.

"ولما كان الشوك لا يثمر تينا فقد صار جميع نسل هذا الإنسان الأول فاسدا كفساده، واقعا تحت حكم الموت"¹، ومنه فسقوط الإنسان الأول أي آدم قد جلب الموت لذريته أيضا بما أن آدم هو أبو الجنس البشري فإن تأثير خطيئته قد تعدى إلى نسله لأنهم أصبحوا الورثة لطبيعته تلك، وبالتالي أصبح الإنسان فاسدا لطبيعته نتيجة وقوعه في الخطيئة، وهكذا فإذا كان أصل الجنس البشري الذي هو آدم عليه السلام فإنه ينتج عنه بالضرورة ذرية فاسدة أو نسلا فاسدا، فلا تنتج عن الشجرة الفاسدة إلا ثمارا فاسدا.

كما ترى المسيحية في اعتقاداتها أنه: "منذ أن ذاق الإنسان الشقاء على الأرض وألمت به المصائب والضيقات وعى جيدا أنها كلها ثمننا لعصيانه، وجزاء وفاقا لإثمه وخطاياها، منذ أول تعزية عمن أصبه وخلقه وهو علم بالعودة كلما عز عليه انتظارها، وفي حلمه وفي انتظاره بدأ الإيمان كل يوم يتربى عنده ومع الإيمان الثقة أنه عائد حتما"² ظل الإنسان يحلم بالعودة مع الإيمان والثقة المطلقة، وبعد انتظار طويل وعى أنه بدفع ثمن خطاياها وعصيانه لأوامر الله.

¹ فرج أبو عطا المرجع السابق، ص 158.

² الأب متى المسكين، الرسالة إلى العبرانيين (شرح ودراسة)، مطبعة القديس أنبا مقار، ط1، 1993، ص 257.

المبحث الثالث: الخلاص من الخطيئة عند المسيحية

عندما وقع الإنسان الأول في السقوط واصبح شقيا على الأرض، وطرد من الجنة أصبح واعيا أن كل تلك المصائب والضيقات هي ثمن لعصيانه عما أمر الله به، لولا الإيمان والثقة التي ظلت تتربى عنده كل يوما بعد يوم أصبح متيقنا من العودة، لكن ماهي كيفية تلك العودة؟ وهل يشعر كل إنسان بالخلاص الذي يأتي؟ وإذا كان هذا الخلاص ضروريا فعلى يد من يكون؟

ترى المسيحية أن الله تعالى قد أراد أن يحقق الخلاص بواسطة المسيح حيث: "إن الله تعالى اختار بملء حرите أن يحقق خلاص البشرية بواسطة يسوع المسيح وأنه تعالى لم يكتف بأن جسد كلمته في يسوع، بل أراد أن تكون لأفعال يسوع قدرة خلاصية خاصة"¹، لقد اختار الله بكامل حرите تحقيق الخلاص الذي طالما كان الإنسان يريد أن يسعى إليه، وقد أتى على يد المسيح، وقد كان أساس الخلاص عند المسيحيين أنه: "من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبتها أبوه وطرد من الجنة، واستحق هو وأبناءه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هنا طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله و وحيد، وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلما ليكفر عن خطيئة البشر"² ومنه فإن المسيحية تزعم على أن حكم الموت على آدم وذريته من بعده لم يوقع عنهم، إلى أن أرسل الله يسوع المسيح لفداء البشر وذلك بموته على الصليب ليكفر عن خطاياهم، ومن هنا فإن صلب المسيح يرتبط بتخليص البشر من الخطيئة وذلك بإرسال الله ابنه الوحيد ليقوم بعمل الفداء، لأن الإنسان لا يصلح أن يفدي نفسه من الخطيئة التي ورثها عن

¹ نهى نجار: الديانة المسيحية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990، ص 91.

² أحمد شلبي، المسيحية، مكتبة المصرية، ط4، 1973، ص 135.

أبيه آدم، فالإنسان الذي قام بفداء نفسه من أجل البشرية هو إنسان غير محدود طالما أنه ابن الله، وبالتالي فهو الذي يستطيع أن ينال رضا الله غير المحدود.

يرى أحمد علي عجيبة أنه من بين الطرق المؤدية إلى الخلاص المسيحي من الخطيئة هو "طريق الخلاص الإلهي"¹ وهي خاصية بالله وحده، ويستبعد فيها الإنسان "إن الطريق الصحيح إلى غفران الخطيئة هو الكفارة، وهذه الكفارة لا يستطيع الإنسان أن يفعلها لأنها مرهونة بأوصاف إلهية لا تتوافر في الإنسان"²، تلك كانت نظرة المسيحية للتكفير عن الخطايا، لكن بالنظر إلى النصوص في الكتاب المقدس نجد أن هنالك نصوصا تتحدث على الغفران دون الحاجة إلى سفك دم المسيح أو الفداء للتكفير عن الخطايا وبالتالي فهناك طرق متعددة للتكفير عن الخطايا أهمها: التكفير عن طريق الذبائح "كانت الذبائح هي طريق الله في العهد القديم ليطالب الشعب منه مغفرة خطاياهم"³ وتتقسم هذه الذبائح إلى قسمين "القسم الأول الذبائح العامة وهي الذبائح القومية التي كانت تقدم لله في كل يوم، وفي كل موسم من المواسم الدينية، والقسم الثاني الذبائح الشخصية وهي الذبائح التي كان يقدمها الأفراد كل حسب ظرفه"⁴، ومن بين الطرق الأخرى هي التكفير عن طريق التواضع والاعتراف بالخطايا والثقة بخلاص الله وهو ما يرويهِ سفر ميخا "إني أخطأت إلى الرب لذلك أتحمل غضبه إلى أن يدافع عني وتثبت استقامتي فيخرجني إلى النور لأشاهد عدله"⁵ وبالتالي فإن عقاب الله لعبده لا يعني الرفض والغضب منه لأن العقاب قد يكون في يوم ما سببا في ترك الخطيئة والرجوع إلى التوبة، هذا كان من بين العراق التي يمكن بواسطتها التكفير الخطايا في العهد القديم، لكن هذه الطرق تختلف مع العهد الجديد وهذا ما سنراه:

¹ أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص 269.

² المرجع نفسه، الصفحه نفسها.

³ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المرجع سابق، ص 217.

⁴ عوض سمعان، كفارة المسيح، دار الطباعة القومية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص 79.

⁵ الكتاب المقدس، سفر ميخا، الإصحاح: 9/7.

إن تقديم الذبائح وسفك دمها للحصول على التكفير من الخطايا لم يعترف به في العهد الجديد، لذلك فإن دم الحيوان لا يمكن له أن يأتي بالمغفرة إلى الإنسان ويستدل النصارى على رأيهم هذا في رسالة بولس إلى العبرانيين "فمن المستحيل أن يزيل دم الثيران والتيوس خطايا الناس"¹، أضف على ذلك أن "الأعمال الصالحة مهما عظمت قيمتها لا تصلح للتكفير عن الخطايا لأنها محدودة وصادرة عن الإنسان المحدود وبالتالي فإنها لا يمكن أن تقي بحق الله غير المحدود"²

إن سفك دماء الحيوانات والقيام بالأعمال الصالحة لا تصلح لتكفير الخطايا لأنها صادرة عن إنسان محدود فكيف له أن يصل بذلك إلى الله أو إلى حقه اللامتناهي.

لذلك من الوسائل التي نادى بها بولس هي التكفير عن طريق موت المسيح حيث تقول النصارى "إن الله قد صفح عن خطايا البشر في صليب يسوع، فكان مؤمنو العهد القديم يتطلعون إلى الأمام بالإيمان بالمسيح الاتي، وهكذا خلصوا ولو أنهم لم يعرفوا اسم يسوع أو تفاصيل حياته على الأرض، أما مؤمنو العهد الجديد فيتطلعون إلى الوراء بالإيمان، إلى مخلصهم المصلوب"³، لأن القول بأن الله قد تقاضى بإمهاله الإلهي عن الخطايا التي حدثت في الماضي يتنافى مع قانون النصارى الذي يقر بأن الله وعدالته الإلهية تقتضي بأن يأخذ الخاطئ على فعلته أو خطيئته ومنه، فإن عدالة الله تطبق على جميع الناس وهي شاملة لهم في كل مكان وزمان، أيضا ومن وسائل التكفير في العهد الجديد هي الإيمان بالمسيح "له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا"⁴، ويمكن القول بأن الإيمان بالمسيح عند النصارى هو أن يؤمن الإنسان بأن المسيح قد مات من أجله مكفرا عن خطاياهم، أو تعرف تلك الوسيلة بالتبرير حيث أن الخطيئة الأصلية قد ورثت للبشرية لذلك يعتقد المسيحيون أن المسيح قد حمل الخطيئة

¹ الكتاب المقدس، رسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح: 4/10.

² عوض سمعان، المرجع السابق، ص 50.

³ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المرجع السابق، ص 384.

⁴ الكتاب المقدس، سفر أعمال الرسل، الإصحاح: 10/43.

وحكم الموت الذي نالته البشرية من قبل بسبب توارثهم لخطيئة آدم، وفي هذا يقول وليمس في كتابه تفسير أصول الإيمان "إن الإنسان عندما يتوب عن خطاياها، ويؤمن بيسوع المسيح يعتبر من تلك اللحظة فصاعدا بارا أمام الله ولم يعد خاضعا لغضب الله ودينونته"¹

وأيا من وسائل تكفير الذنوب والخطايا في العهد الجديد هي الاعتراف والتوبة كما جاء في رسالة يوحنا الأولى: "ولكن إن اعترفنا لله بخطايانا فهو جدير بالثقة وعادل يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم"² وتقول المسيحية عند تفسيرها لهذا النص: " فعندما نأتي للمسيح يغفر لنا كل خطايانا التي نفعناها والتي سنفعها في المستقبل فلا ينبغي أن نعترف بنفس الخطايا على الدوام مرات عديدة"³، وبذلك فإن الاعتراف الحقيقي عند المسيحية ليس هو الاعتراف بنفس الخطايا والاستمرار فيها بل يمكن الالتزام بعدم الاستمرار في الخطيئة، وكل هذه الآراء يغلب رأي بولس، الذي "تبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروج لها في رسائله... فلقد كان الصلب وسفك الدم، هو ما عزم بولس على ألا يعرف من المسيحية شيئا غيره"⁴ وهذا يعني أن بولس قد أكد مسألة صلب المسيح بالفداء عن البشرية وما يؤكد ذلك هو رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث يقول فيها: "لأنني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا"⁵، ومنه يمكن القول هنا أن بولس يرى بأن المسيحية كدين تعترف بأن الخطيئة هي التي كانت سببا في تعاسة الإنسانية ولو لم يصلب المسيح من أجل التكفير عن تلك الخطايا لظلت في تلك التعاسة الأبدية أو بعبارة أخرى فالإنسان أصبح عاجزا بسبب تلك الخطيئة، ولو لم يرسل الله ابنه المسيح ليخلص البشرية منها لظل الإنسان في ذلك

¹ ج أ وليمس، المرجع السابق، ص 131.

² الكتاب المقدس، رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح: 9/1.

³ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، المرجع السابق، ص 272.

⁴ محمد عزت الطهطاوي، الميزان مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1983، د.ت، ص 223.

⁵ الكتاب المقدس، رسالة إلى أهل كورنثوس الأولى، الإصحاح: 2/2.

العجز إلى الأبد، لذلك فإن الأساس الذي تقر به المسيحية في بناء عقيدتهم في كفارة المسيح هو أن المسيح جاء إلى هذا العالم ليكفر عن خطيئة آدم التي ورثتها ذريته من بعده، وتذهب المسيحية إلى أن الأعمال الصالحة لا تكفي من أجل التكفير عن الخطايا، بل الطريق الوحيد هو موت المسيح على الصليب تكفيرا عن الخطايا.

يمكن أن نستنتج من مسألة الخلاص من الخطيئة عند المسيحية أن الموت الجسدي هو عبارة عن عقاب أنزله الله تعالى بسبب معصية آدم ووقوعه في الخطيئة، وأن الله بواسطة نعمته الإلهية ورحمته أراد تخليص البشرية من تلك الخطيئة لذا أنزل غيبه في صورة الإنسان فقتل مصلوبا، "فإن الإنسانية تتجرع خطيئة آدم منذ نزوله على الأرض لذا فقد أنزل الله ابنه ووحيدَه المسيح عيسى على الأرض بشكل الإنسان من أجل أن يصلب ويسفك دمه لتخليص البشرية من نتائج تلك الخطيئة"¹، ومن خلال هذا يمكن أن نستنتج أنه لا يوجد تكفير عن الخطايا إلا رؤية المسيح مصلوبا، وبالتالي فالخطيئة حسب التصور المسيحي الذي يعتقد أن الله بعد أن خلق آدم وأسكنه الجنة أباح له الأكل من جميع ثمارها إلا شجرة معرفة الخير والشر وحذره من الأكل منها وأنه إذا أكل سيكون مصيره الموت، فخالف آدم وصية ربه فأكل من الشجرة هو وزوجه بإغواء من إبليس، فاستحق بذلك آدم الطرد من الجنة بعد أن فصلت الخطيئة بينه وبين الله فصار بذلك بعيدا عن الله بسبب الخطيئة التي ورثتها ذريته من بعده، أما الخلاص فإن المسيحية تعتقد أنه ما من شيء يمكنه التكفير عن الخطايا إلا صلب المسيح، فأرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم وذلك بموته على الصليب مكفرا عن خطاياهم، ولا يمكن لأي إنسان أن يخلص نفسه من الخطيئة الأولى إلا إذا اعترف بأن المسيح هو منقذه.

¹ محمد أحمد الخطيب، الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، قطر، د.ط.



الخطيئة والعناية الإلهية عند القديس أوغسطين

المباحث:

❖ مفهوم الخطيئة عند

القديس أوغسطين

❖ الخطيئة واللفظ الإلهي

❖ الخطيئة وعلاقتها بالإرادة

بنى القديس أوغسطين مدينة الله ووضع أساسها بحجارة العناية الإلهية لتصبح بذلك عنواناً لفلسفته كاملة، والعناية الإلهية هي "علم الله بما ينبغي أن يكون عليه الوجود، حتى يكون على أحسن نظام وأكمل، ولكن عناية الله ليست مجرد علمه بما ينبغي عليه الوجود، وإنما هي حفظه وتوجيهه نظام هذا الوجود بإرادته، ولذلك قيل إن الله عقل وإرادة محبة"¹

وهي أيضاً "تأثير الله من العالم وتوجيهه نحو غايات معينة وهذه هي العناية العامة أم العناية الإلهية هي توفيق الله للعبد في أفعاله"²

ومن هنا يمكن القول بأن العناية الإلهية هي تحقيق لإرادة اللهن ولضمان أن يتم الوفاء بأهداف الله، وبالتالي فهي الوسيلة التي تحكم من خلالها الله في كل شيء في الكون، وعقيدة العناية الإلهية تؤكد أن الله لديه سيطرة تامة على كل شيء في الكون ككل والعالم المادي وميلاد البشر ونجاحهم وفشلهم وحمايتهم، وذلك بوضع قواعد ومبادئ من الله ليحكم كيفية عمل الأشياء، ولذلك حاولت أن أربط بين الخطيئة والعناية الإلهية في هذا الفصل فإنا نرى ما علاقة الخطيئة بالعناية الإلهية؟ وأن يكمن الهدف الأساسي في ذلك؟

¹ جميل صليبا، المرجع السابق، ص 110.

² إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، د.ط، 1983، ص 129.

المبحث الأول: مفهوم الخطيئة عند القديس أوغسطين

قبل الحديث عن الخطيئة عند القديس أوغسطين كان لزاما علينا أن نتحدث عن فكرة الخلق عنده، مادام أنها مرتبطة بالعناية الإلهية كذلك وهذا ما سنراه في كيفية خلق العالم عنه، فكيف تم خلق الكون؟

يعارض القديس أوغسطين المانويين في فكرة الخلق من العدم، "يذهب القديس أوغسطين معارضا بذلك المانويين... وأول نقطة لا بد من تبيانها إذا أردت أن تفهم ما أجاب به عن ذلك الاعتراض هي أن فكرة الخلق من لا شيء فكرة غريبة عن الفلسفة اليونانية"¹، وهنا دليل أول على وجود خالق لهذا الكون، وهو الله، وذلك من خلال التمعن في العالم والنظر إليه بما فيه من موجودات.

"فإذا تحدث أفلاطون عن الخلق تصور مادة أولية تناولها الله بالتشكيل، وقل ذلك أيضا في أرسطو، فالإله عندهم أقرب إلى أن يكون فنانا أو مهندس عمارة منه إلى أن يكون خالقا فالمادة في رأيهم أزلية لم تخلق، والذي خلقته إرادة الله هي صورة وحدها، فجاء القديس أوغسطين وذهب إلى ما يعارض هذا الرأي وهو مذهب لا مندوحة عنه لكل مسيحي أصيل وأعني المذهب القائل إن العالم لم يخلق من مادة بعينها بل خلق من لا شيء فالله قد خلق المادة"²

من هنا عارض القديس أوغسطين في فكرة الخلق أن المادة أبدية فذهب إلى الإقرار بأن العالم مخلوق ومخلوق لله وحده، لذلك وذلك حينما تأمل في الكون ونظامه وجماله، أدرك أن هذا الكون خلقه إله فوق كل شيء "فالقديس أوغسطين ينظر إلى العالم أولا نظرة

¹ برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثاني: الفلسفة الكاثولوكية، تر: زكي نجيب محمود، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ص 80.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

متفائلة جمالية"¹، مادام القديس أوغسطين يعترف بوجود الله، فإنّ هو أصل الوجود، "فكان القديس أوغسطين إذن يقول بمبدأ الخلق... ومن هنا يصف الخلق بأنه أولاً راجع إلى خيرية الله، ثم إلى أراذتهن ثم إلى عقله، فالعالم لم يوجد تبعاً لضرورة قاهرة، وإنما وجد لأن الله خير، والخير لا يفعل إلا الخير، والوجود خير من العدم ولهذا أوجد العالم فالعالم، من حيث وجوده فيض من خيره"²

إن العالم بهذا المعنى ليس راجعاً إلى الضرورة في خلقه، وإنما راجع إلى المقام الأول في خيرية الله لأنه لا يفعل إلا الخير وفي هذا الصدد نجد أوغسطين يقول "على أن الدافع الرئيسي لخلق كل الخيرات هو صلاح الله، وهو دافع في غاية الدقة"³

"فالعالم إذن فيض من خير الله ودليل على إرادة الله، ومرقب حسب عقل الله، إلا أننا هنا لم نصل إلا إلى خلق الكون فحسب؟، فكيف نستطيع أن نفسر خلق الأشياء باستمرار؟ إن فعل الخلق عند أوغسطين فعل واحد، أي أن الله خلق الكون مرة واحدة ولا يخلقه باستمرار، فكيف نوفق بين هذا الفعل وبين نشأة الأشياء ووجودها؟"⁴

يقر عبد الرحمن بدوي بضرورة أساسية وهامة تساءل عنها البشر جميعاً وهي أن فعل الخلق كان دفعة واحدة، وقد طرح السؤال كيف استطاع الله أن يخلق الكون من جهة ونشأة الأشياء وتكوينها من جهة أخرى، وهنا يعطينا الجواب عن ذلك "هنا يرجع أوغسطين إلى مذهب الرواقيين في العلل البذرية Rationes Seminals ويتخلص هذا المذهب في القول بأن الأشياء كانت في البدء في حالة كون على شكل بذور وهذه تنمو من بعد فتكون الأشياء، وتبعاً لهذا يرى أوغسطين أن فعل الخلق الذي هو واحد كان يتمثل في فعل خلق

¹ عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، دار القلم، الكويت، لبنان، ط3، 1979، ص28.

² المرجع نفسه، ص 29-30.

³ القديس أوغسطين، مدينة الله، تر: ليوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط2، 2006، مج2، ص 35.

⁴ عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 30.

البذور التي تنشأ جميع الأشياء عنها، ومن هنا نستطيع أن نوفق بين القول بأن فعل الخلق واحد وبين القول بأن الأشياء تنمو باستمرار، فالأشياء تنمو من البذرة وهذه وجدت مرة واحدة، وكانت محتوية بالقوة على جميع التطورات حتى تصبح شجرة وعلى هذا الأساس استطاع أوغسطين أن يقول بفكرة التطور وأن يقول بفكرة المسيحية القائلة إن فعل الخلق واحد¹.

وبعد أن رأينا كيف خلق الله العالم، ورأينا أن فعل الخلق الواحد، وأن الأشياء تنمو وتتطور باستمرار "إذا ما فهم الخلق على هذا النمو فإنه لا يتضمن فقط مذهب التفاؤل الكامل لأن كل ما يوجد مهما كانت درجة وجوده هو شبيهة بالله، لكنه يتضمن في نفس الوقت تأكيد العناية الإلهية"².

ومن هنا ومن هذا المنطلق تساءل أوغسطين عن هذا الإله الأعظم الذي يحكم كل شيء بقدرته وتسيطر على كل شيء حيث يقول في كتابه الاعترافات: "سألت الأرض فقالت لي "لست إلهك" كذلك أجابني كل حي على سطحها، سألت البحر وأغواره والكائنات الحية التي تشرح فيه وتمرح فأجابتني "لسنا إلهك" بحثت عنه في الأعالي وسألت رياح الجو فأجابتني مملكة الهواء وكل ما فيها أجابني إذا كسيمان يخطئ، لسنا إلهك، سألت السماء والشمس والقمر والنجوم كلها لسنا الإله الذي تبحث عنه، إذ ذاك قلت للكائنات كلها التي تحيط الأبواب حواسي حدثتني عن إلهي طال ما لست إلهي، قولي لي شيئاً عنه، تهافتت جميعها بصوتها القوي: هو خالقنا، كان تأملي فيها سؤالاً وجمالها جواباً"³.

¹ عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 30-31.

² اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط،تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، ط3، 2009، ص270

³ أوغسطين، الاعترافات، نقلها إلى العربية، الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط4، 1991، ص198

ومن هذا القول يتضح لنا ان القديس أوغسطين ،قد تساءل باحثا عن الله ،فوجد بذلك ان كل الموجودات والمخلوقات لا ترتقي الى الخالق، ولا الى مرتبته، ومن هنا فان كل مخلوق يحتاج الى هذا الخالق، ويستمد ويأخذ وجوده من عنده.

بعد ان راينا ان الله خالق الاشياء جميعا، كما انه قد نظم هذا الكون، ولا يوجد شيء خارج سيطرته ،اضافة الى ذلك انه خلق الانسان على صورته، اذ يروي سفر التكوين: "وصنع الله الانسان على صورته تكوين 1/26 لأنه اعطاه نفسا ميزها بالعقل، والذكاء ورفعه فوق سائر حيوانات الارض وبعد ان صنع الانسان من تراب الارض واحياه بتلك النفس التي اتكلم عنها سواء كان قد نفخها فيه او كانت تلك النسمة هي ذاتها فعل الخلق نومن تلك النسمة هي ذاتها فعل الخلق، ومن تلك النسمة التي احدثها اراد ان يخلق نفس الانسان واستخراج عظمة من جنبه، وصنع المرأة لتشاركه في عمل الانسال"¹.

خلق الله الانسان وميزه بصفة اساسية عن سائر المخلوقات الا وهي العقل، وبعد ان تمت عملية الخلق وضع الله ادم وحواء في الجنة "كان ادم وحواء يعيشان في الجنة وقلبهما مليء بحب الله، وبجنبه ومع ملائكته العدول، في سعادة ابدية، وكانوا هم الورثة الشرعيين لمدينة الله .. لكن ما حدث قلب الموازين الوجودية ،حدثت الخطيئة"² .

يروى سفر التكوين في الإصحاح الثالث قصة الخطيئة "وكانت الحية أجبل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة، فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجر التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة: لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونا كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة

¹ القديس أوغسطين، مدينة الله، مج2، المصدر السابق، ص100.

² نسيبة مزواد، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر، فلسفة الحضارة في فلسفة القديس أوغسطين، حسينة حماميد، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2011/2012، ص 28.

للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمارها وأكلت، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فحاط أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر، وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فأختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت، فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت، فقال من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها، فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت، فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت، فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت مع جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك سقين وترابا تأكلين كل أيام حياتك، وأضح عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه، وقال للمرأة تكثير أكثر أتعب حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك، وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا: لا تأكل منه، ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود، ودعا آدم اسم مرأته حواء لأنها أم كل حي، وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصا من جلد وألبسهما، وقال الرب الإله: هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر، والأن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة¹.

تلك كانت فكرة الخطيئة وهي كما ذكرت في الكتاب المقدس، تبعا لما تحمله من أفكار أو ما عبر عنه القديس أوغسطين بسقوط الإنسان ومصيره أو موته العادل.

¹ الكتاب المقدس، سفر التكوين، الاصحاح: 1/3-24

وفي السقوط هذا (أي سقوط الإنسان) يقول أوغسطين: "سقوط الإنسان الأول أو بالأحرى سقوط الناس الأولين عنيت به أصل الموت وانتقاله إلى البشرية وهذا ما يفرضه علي نظام العمل الذي أتبعهن علما بأن الله لم يخلق الإنسان في البدء مساويا للملاك الذي لم تقدر الخطيئة أن توجهه إلى الموت، لو أطاع وبقي أميناً لانتقل كالملاك إلى حالة لا يعرف فيها الموت شبيهة بحال الملاك، ومن ثم إلى الخلود والسعادة الأبدية، لكنه عصى فأنزل به قرار الموت"¹. وهنا يمكن القول بأنه من مجرد وقوع آدم وحواء في الخطيئة نزلت بهما عقوبة الموت، جراء عصيانهم، ولو بقوا على حالهم (أي ما عصوا ربهم) لنعموا بحياة أبدية مليئة بالسعادة تشبه حال الملائكة.

كما نجد أوغسطين يتحدث عن طبيعة الموت حيث يقول: "في طبيعة الموت، وإن كانت النفس متأكدة من أنها لن تموت، فلها موت خاص بها، إنها لخالدة بمعنى أنها لن تنقطع عن أي تحيا وتشعر على طريقتها الخاصة، والجسد يموت ويحرم من الحياة، ولا يحيا بذاته، غير أن النفس تموت عندما يتخلى الله عنها، كما يموت الجسد عندما تتخلى النفس عنه"²، وهذا يعني أن الجسد يموت حينما تتخلى النفس عنه، وهذه الأخيرة تموت حينما يتخلى الله عنها.

ومنه فالموت ناتج عن الخطيئة بالضرورة، لذلك نرى أيضا أنه من النتائج التي نتوصل إليها هي فكرة "الخير والشر" وعلاقتها بالخطيئة حيث يقول القديس أوغسطين: "من يعمل الخطيئة شرا يعمل إياك وأن تميز بينهما، شر هي الخطيئة فلا تقل إنني خاطئ ولست

¹ القديس أوغسطين، مدينة الله، مج2، مصدر سابق، ص 109.

² المصدر نفسه، ص 109.

شريرا شر هي الخطيئة وتعلمون أنه ظهر لكي ينقذ الخطيئة ذاك الذي لا خطيئة عليه، وما يفيدنا أن يكون قد جاء بلا خطيئة"¹.

أي أن الخطيئة في حد ذاتها شرا، ومن يحمل في وزره الخطأ فهو شرير، والذي خلصنا من الخطيئة هو الذي لم يخطئ أي أنه جاء بلا خطيئة.

"يلاحظ أوغسطين أن البشر يميزون بين الخير والشر، ولكنهم لا يفعلون الخير دائما فأغلبهم يرغب في ذلك ولكنه لا ينجح، وعدد قليل فحسب هو الذي يفعل الخير، وفسر ذلك بأن الأهواء هي التي تعوق تحقيق الإنسان لإرادته وهي التي تكبل حريته، واستنتج أوغسطين من هذه الملاحظة النفسية أن الأهواء لا بد وأنها هي التي تحكمت في آدم فارتكب الخطيئة الأولى، والله وحده هو الذي في إمكانه أن يساند الإنسان فيخلصه من الأهواء ويجعله يختار الخير"².

فالإنسان يمكن له أن يميز ويفسر بين الخطأ والصواب، لكنه لا يقبل هذا الأخير دائما والسبب الراجح في ذلك هو الأهواء، فالله هو الوحيد القادر على تخليصنا من تلك الأهواء، وبهذا يمكن للإنسان أن يختار الطريق الصواب أو طريق الخير.

"الطبيعة الإنسانية إذن خيرة بطبيعتها وقوة الإرادة التي خلقها الله فيها خيرة أيضا بطبيعتها لأن الله لا يخلق إلا الخير، إلا أن فعل الإرادة قد يكون شريرا فكيف يمكن للخير والشر أن يتعايشا وأن يوجدوا سويا في الإنسان؟ يفسر أوغسطين تلك بأن الشر ما كان ليوجد لولا وجود الخير والاتان بينهما علاقة جدلية وإن كان الخير أقوى قطبيها لأنه يمكن أن يوجد من غير الشر، بينما الشر لا يمكنه أن يوجد من غير الخير، لا يمكنهما التعايش سويا

¹ القديس أوغسطين، شرح رسالة القديس يوحنا الأول، تر: الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط4، 2007، ص75.

² زينب محمود الخضيرى، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار حياء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1997، ص90.

فحسب، إنما الشر لا يمكنه أن يوجد من غير وجود الخير ولا في مكان آخر إلا في الخير وإن كان الخير يمكنه أن يوجد بدون الشر¹.

إنه لا وجود للشر إلا من خلال الخير، وما هيتهما تكون في الإرادة مما يجعلها على أنها المسؤول الأول في فعل الخير والشر.

ولقد لاحظ القديس أوغسطين تمييز البشر بين الخير والشر وكذلك عدم فعل الخير دائماً، ولعل هذا يرجع في نظره إلى الأهواء التي تتحكم في النفس البشرية، والتي تحملت هي الأخرى في آدم فارتكب الخطيئة الأولى، والشر عند القديس أوغسطين كالتالي: "فلكي يكون الشر يجب أن لا يكون الخير موجوداً، وليس للشر صفات، فما هو عدم وغير موجود لا يمكن أن يكون له صفات"²، فما يمكن استنتاجه هنا هو أن الله بصفته خير لا يخلق إلا الخير، ولا يخلق الشر، ولهذا نجد القديس أوغسطين يقسم الشر إلى قسمين: "الشر الطبيعي والشر الأخلاقي"³ أما الشر الطبيعي "فهو في الماديات فساد كيانه أو زواله، وهو ليس شراً بمعنى الكلمة، لأنه نقص في العناصر أو خلل في النظام العام، والشر الطبيعي الذي يحسه الإنسان في ذاته أثر الخطيئة وعقاب عليها لأن الخطيئة تمرد على النظام وأثرها اضطراب في كيان الإنسان"⁴، فالخطيئة هي في حد ذاتها شراً لأنها عصيان للأوامر، وبواسطتها تحلل النظام، أما الشر الأخلاقي وعلى أساسه يمكن أن نطرح السؤال التالي: هل الله هو الذي يمد الإنسان إرادة يمكن بها فعل شيء سيء؟ لذلك فالشر الأخلاقي متمثل في تلك الأشياء التي حثنا الله إيانا من أجل أن نفعل الخير "إن اليد مجد ذاتها نافعة وحسنة إلا أن من يرتكب بها شيئاً كعمل إجرامي أو مخجل، فإنه يكون قد استعملها استعمالاً غير

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 96.

² علي زيغور، أوغسطين مع مقدمات في العقيدة المسيحية في الفلسفة الوسيطية، دار اقرأ، بيروت، لبنان، د.ط، 1983، ص 173.

³ المرجع نفسه، ص 175.

⁴ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم، لبنان، د.ط، 2003، ص 50.

حسن، استعمالاً سيئاً، كذلك القدم العين، وكذلك الإرادة"¹ إن الله منح لنا تلك الأشياء من أجل أن نعمل الخير بها، لكن الإنسان في مقابل ذلك بوظفها في فعل الشر.

إن ما يمكن استنتاجه هو أن أوغسطين قد تناول فكرة الخير والشر وربطها بالعناية الإلهية، فالخير هو الذي يأتي من الله، بينما الشر هو ناتج عن الإنسان بسبب الخطايا، وبالتالي فالشر لا يمكننا فهمه إذا انعزل عن الخير، ولا يمكن تفسيره إلا في ظل الخير، لذلك كان للعناية الإلهية دور كبير في مساعدة الإنسان عندما يقع في الخطيئة.

¹ علي زيغور، المرجع السابق، ص 175-176.

المبحث الثاني: الخطيئة والطف الإلهي

أ- توارث الخطيئة:

لقد عاصر أوغسطين محاولات تطوير الفلسفة المسيحية، وعلى رأسها محاولة بيلاج¹. التي أثارته أكثر من غيرها، حيث ركز في هجومه على مذهب بيلاج من حيث مفهومه الخاطئ عن الخطيئة حين ربطها بالطف الإلهي، ولقد كانت أخطاء بيلاج كثيرة ونذكر منها:

- "أن الله خلق آدم فانيا بحيث يكون مصيره الموت سواء أخطأ أم لا أي أن طبيعة آدم لم تكن قبل الخطيئة طبيعة فائقة للطبيعة تمتع بالبراءة وبالخلود.
- أن خطيئة آدم هي خطيئة وحده، وليست خطيئة كل البشرية.
- هي مزيج بين الضاللتين السابقتين، تذهب إلى أن الأطفال يولدون في حال شبيهة بحال آدم قبل الخطيئة، أي يولدون بدون وصمة الخطيئة الأصلية التي ارتكبها آدم وهو ما يترتب عليه نفي الاعتقاد بأن الموت والشهوة هما من آثار خطيئة آدم الأصلية.
- أن المسيح لم يأت ليخلص كل الجنس البشري بل المؤمنين وحسب، كما أن آدم لم يسبب في وصم كل البشرية بالخطيئة الأولى وبالتالي فهو مسؤول عن جعلنا فانية.
- أن الإنسان يمكنه أن يكون بلا خطيئة وأن يتبع التعاليم الإلهية بلا معاناة والدليل هذا أنه قبل مجيء المسيح وجد أناسا بلا خطيئة².

أضف على ذلك يقول أوغسطين: "بعد أن نفي آدم من هذا المكان (الجنة) بعد خطيئته، فوض الله عليه وعلى ذريته التي لوث بذورها بالرديلة عقوبة الموت... وهكذا فإن

¹ البلاجية: مدرسة دينية فلسفية تنتمي إلى الراهب الإنجليزي بيلاج جيوس الذي كان أكبر المعاصرين لأوغسطين ولمذهبه في تفسير مشكلة الشر.

² زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 83-84.

كل إنسان ينحدر منه ومن زوجته الملعونة بدورها لأنها كانت أداة خطيئته ... ستلحق به الخطيئة الأصلية¹، وهنا يمكن أن نقول بأن الخطيئة هي التي كانت السبب الأول في الحرمان من نعمة الخلود.

وعلى هذا الأساس كانت الخطيئة هي عصيان الشريعة الإلهية وذلك على حد تعبير القديس أوغسطين في قوله: "إذا تعديت الشريعة موتاً تموت"² ويضيف فيقول: "تلك كانت فظاعة خطيئتهم التي خربت الطبيعة البشرية ونقلت إلى الأجيال البشرية عبودية الخطيئة والموت المحتوم"³

ومن هنا كان تعليل أوغسطين للخطيئة يختلف بمجمله عن باقي الأخطاء التي يمكن للجنس البشري أن يرتكبها، لأنها ليست من بين الأفعال التي تنسب إلى صاحبها فحسب، ولنا في ذلك خطيئة آدم ذلك أنها نسبت إلى غير آدم من أبناء ذريته، ولذلك فالخطيئة هي عصيان الله، ومنه فهي وصمت كل أبناء مقترفيها أي كل ذرية آدم.

وعليه فإن الخطيئة عصيان قواعد العقل أي القاعدة الأساسية الأولى والمتمثلة في القانون الأبدي الذي لا يعني شيئاً سوى عقل الله من خلال هذا "اعتبر أوغسطين الإنسانية كلها مخطئة وبالتالي فهي كتلة أو جماعة ملعونة"⁴، كما نجد أن أوغسطين قد استخدم تعبيرات كثيرة للدلالة على هذا المعنى، فالإنسانية عنده جماعة ملوثة أو جماعة خاطئة، أو جماعة ضالة، أو جماعة فانية، إلا أن الله رحمة بالإنسانية وحباً لها تجسد في المسيح ليفديها مخليها من خطيئتها الأصلية، وعليه فإن الله إذا أراد تخليص الإنسانية من عبودية

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 90.

² القديس أوغسطين، مدينة الله، مج2، المصدر سابق، ص 113.

³ المصدر نفسه، ص 156.

⁴ زينب محمد الخضيرى، المرجع السابق، ص 91.

الخطيئة فإن العناية الإلهية تصبح ضرورة مطلقة، حيث نجده في كتابه "مدينة الله" يقول "بأن الله خلص البشرية من عبودية الخطيئة، وذلك بنعمة مجانية"¹

ومن هنا "فالخطيئة عاجزة عن تشويش اعمال الرب العظيمة والمديرة لكل مراد بها، وعليه فإن فساد الخطاة لا يعكر تصميم الله وعنايته"²

وعلى هذا الأساس كان أوغسطين يؤكد أنه لن ينجو من الخطيئة الأولى إلا من أنعم الله عليه، وهو ما تقوله زينب محمود الخضيرى في كتابها لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين: "... أنه لن ينجو من الخطيئة الأولى إلا من ينعم الله عليه بلطفه أو من اختاره الله فحسب، هؤلاء فقط هم الذين سينتقلون للمرحلة الرابعة من مراحل تاريخ الإنسانية أي مرحلة مدينة الله حيس السلام الكامل"³

وعليه يمكن القول بأن الخطيئة لها نتائج وخيمة انتقلت إلى البشر بسبب معصية آدم، وهي كما يعتبرها أوغسطين أصل كل الشرور.

ب- الجزاء والقدر وعلم الله المسبق:

"وجد أوغسطين نفسه بين نارين فهو إذا ربط اللطف الإلهي بالجزاء أي جعل اللطف جزء من الله على أفعال البشر يكون قد قيد بشكل ما حرية الله المطلقة وجعل اللطف مشروطاً بأفعال العباد وهو أمر مستحيل عقائدياً، ومن جهة أخرى إذا انفصل فصلاً تاماً بين الجزاء واللطف بحيث لا يخضع هذا الأخير إلا لحرية الله المطلقة يعرض نفسه للاتهام من قبل المتربصين بالكاثوليكية بالقول بنوع من الظلم الإلهي لأولئك الذين لم يمنحهم الله لطفه، واختار أوغسطين النار الثانية لاتفاقها مع العقيدة، وإن كان فعل ذلك بعد لف ودوران

¹ القديس أوغسطين، مدينة الله، مج2، المصدر سابق، ص 156.

² المصدر نفسه، ص 210.

³ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 92.

في متاهات واستدلالات معقدة... فصل إذن أوغسطين بين الجزاء واللفظ فصلا تاما جاعلا هذا الأخير خاضعا لإرادة الله وحده، ولا علاقة له بأعمال البشر¹، وهنا نرى أوغسطين أمام مفارقة في علاقة اللطف الإلهي بالجزاء بين الله والبشر ليقر في الأخير في الفصل بينهما مبينا أن اللطف الإلهي خاضع لإرادة الله وحرية دون البشر وأعمالهم، وهذا ما بينه (اتين جلسون) في كتابه روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط وهو الكتاب الذي ترجمه إمام عبد الفتاح "الإرادة الإلهية والعقل الإلهي يحددان مصير البشرية"².

"اعتبر أوغسطين القدر بمثابة إعداد أو تمهيد للطف، بل عرفه بأنه كذلك، وقضية القدر عنده قضية لاهوتية بمعنى أن أوغسطين لم يسع لإثباته كما أنه لم يسمح لضبط علاقته مجريتنا، أي حرية اختيارنا وحرية إرادتنا، وإنما اكتفى بعرض ما جاء بصده من العقيدة المسيحية"³

إذن ربط أوغسطين القدر باللطف الإلهي واعتبرها قضية لاهوتية بحتة دون غيرها.

يرى أوغسطين أن الله له الحرية الكاملة في إعطاء النعم لمن يشاء، ووقت ما يشاء وهو ما أقرت به زينب محمود الخضيرى في كتابها لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين "إن الله حر تماما في توزيعه للنعم على عبادة، لا يتحقق شيء إلا وقد أراده العلي القدير، إما بأن يجعله يتحقق أو يحققه هو نفسه، ولا دخل لأعمالنا في هذا، ولا يمكن أن تشوب قدر الله شائبة ظلم، ولن نستطيع أن ندرك حقيقة القدر عنده، إلا إذا أدركنا أن مذهبه متمركز حول الله، إن الله يفعل ما يشاء لمن يشاء في الوقت الذي يشاءه، وربما استطعنا فهم هذه المقولة لو عرفنا أن أوغسطين كان يربط بعلم الله المسبق، إلا أنه جعل هذا العلم ليس علما بما يستحقه البشر من جزاء بقدر ما هو علم بالنعم التي قرر الله أن يمنحها للبشر من

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 93.

² اتين جلسون، المرجع السابق، ص 223.

³ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 93.

أجل تحقيق خلاصهم، إن الله لديه علم مسبق بكل الذين سيصطفئهم وهو قد حدد مسبقاً عددهم وهو يعرفهم فرداً فرداً وهو قد أعد لكل منهم الوسائل التي لا ترد والتي يتحقق بها اللطف¹.

وتضيف فتقول: "إن الله يعلم مسبقاً الأعمال الخيرة التي سيقومون بها والتي سيستحقون بها كلا من الخلاص ودخول الجنة، وإن لم تكن هذه الأعمال هي شرط الاصطفاء الإلهي، لا فضل للعباد، إذن إنما كل الأمور قد حددها القدر في علم الله المسبق، ولمن يتحقق الخلاص للمصطفين إلا ليكون تجلياً لرحمة الله، أما الآخرين فسيطردون من السماء بسبب خطاياهم التي يعرف الله سبباً أنهم سيرتكبونها"².

وكتحليل لما سبق هو أن الله على علم سابق بالأعمال الخيرة، وكذلك جميع الأمور.

"وبشكل عام قصد أوغسطين استخدام لفظة القدر على حديثه عن المصطفين، أما عند حديثه عن الآخرين فهو يشير إليهم بتعبير المتخلي عنهم، وكأن القدر هو من نصيب المصطفين فحسب لأن القدر هو في حقيقة الأمر تمهيد للطف... .. إذن علم الله المسبق يحيط بكل سلاسل الموضوعات التي إما يختارها الإنسان بحرية كاملة أو يرفضها، أي أن الله هو الذي يحدد اختيارات الإنسان طالما هو الذي يحدد له الأفكار التي تسربت عليها اختياراته"³.

إن أوغسطين في استخدامه لـ: لفظة خصصها بالمصطفين فقط، أما الآخرون فقد تخلى عنهم إذ صح التعبير، وما هو القدر إلا إعداد للطف، بالإضافة إلى أن الله هو الذي يحدد الأفكار، ولا يتحقق شيء إلا من دونه.

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 93.

² المرجع نفسه، ص 95.

³ المرجع نفسه، ص 89.

ويبقى الإنسان في حرية كاملة بقبلها أو رفضها، وهذا ما يعرف بعلم الله المسبق.

من خلال ما تطرقنا إليه في كل الخطيئة والجزاء والقدر والعلم المسبق اللتان تعتبران نظريتان هامتان في فكر أوغسطين، "واللتان تتكونان منهنما نظريته الكبرى عن اللطف الإلهي، هي النظرية التي حققت له الشهرة ومنحت له لقب لاهوتي اللطف الأعظم"¹

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 89.

المبحث الثالث: الخطيئة وعلاقتها بالإرادة عند القديس أوغسطين

تعتبر الحرية أو الإرادة من أعقد المشكلات الإنسانية والتي شغلت حيزا كبيرا من التفكير الإنساني منذ العصور القديمة وإلى غاية عصرنا هذا نظرا لارتباطها الوثيق بكل من الأخلاق والسياسة ومجالات الحياة، أما في الفكر المسيحي فاختلف كل من المفكرين المسيحيين وكانت لكل واحد منهم نظراته إلى الإرادة، فكيف نظرا أوغسطين إلى الإرادة؟ وإلى أي مدى استطاع أن يوفق بين الإرادة الإلهية والإنسانية؟.

"حين خلق الله الإنسان فرض قوانينه، لكنه تركه رغم ذلك حرا في أن يفرض على نفسه قوانينه الخاصة، بمعنى أن القانون الإلهي ليس قهرا للإرادة البشرية ولا إلغاء لهذه الإرادة"¹.

من خلال الخلق يمكن القول بأن الإنسان له الحرية الكاملة في اختيار أوامره، ومن ثم له الإرادة، وبالتالي فالقانون الإلهي لا يلغي إرادة الإنسان طالما سخر له الحرية.

ومن هنا: يرى أوغسطين أن "الإرادة المستقيمة هي المحبة الحق، والإرادة الفاسدة هي الحب الشرير"²، وهنا يفرق أوغسطين بين الإرادة الصحيحة والإرادة الخاطئة أو الفاسدة.

ويقول أيضا: "المهم هو نوع إرادة الإنسان، إذا كانت غير منتظمة كانت حركاتها فوضوية، وإذا كانت مستقيمة كانت حركاتها جديرة بالثناء، بعيدة عن كل لوم، لأنها في كل حركاتها إرادة"³.

¹ إيتين جلسون، المرجع السابق، ص 357.

² القديس أوغسطين، مدينة الله، مج2، المصدر السابق، ص 168.

³ المصدر نفسه، ص 166.

إن من خلال قول أوغسطين يمكن أن نرى أن الإنسان يجب أن تكون إرادته خيرة ومستقيمة وعليه يجب أن يعيش الإنسان على صورة الله إن صح التعبير، لأن الله هو الوحيد المساند للإنسان والموجه له في أفعاله.

"يؤكد أوغسطين أن البشر الذين يستحقون الخلاص ما كانوا ليستحقونه أصلاً لولا أن الله اصطفاهم مسبقاً بفضل لطفه ليكونوا كذلك، أي أن إرادة الله سبق إرادة هؤلاء وتدفعها دفعا، وهكذا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام هذه الحقيقة الجلية: أن إرادة الله هي الوحيدة الإرادة الحقّة"¹.

إنه لا وجود لإرادة حقيقته غير إرادة الله، لأنها تسبق إرادة الإنسان.

وفي هذا الصدد نجد أوغسطين يقول في كتابه مدينة الله مج2: "إذ لا يستطيع إنسان أن يصنع أفضل مما صنعه الله، أكيد أن الإرادة الصالحة التي تصيرهم صالحين، ما استطاعوا أن يحصلوا عليها لو لم يساعدهم الخالق القدير على ذلك وعندما توجههم الإرادة الصالحة نحو كمال الكائن اللامتناهي، وتبعدهم عما هم عليه من فقر، وعندما يستقون من ذلك الإتحاد بالكائن الأسمى، الحكمة والسعادة، أليس هذا برهانا واضحا عن أن إرادتهم أيا كانت نسبة صلاحها، ما استطاعت ان تتجاوز حدود رغبة عميقة، لولا أن ذاك الذي جعل تلك الطبيعة قادرة على احتوائها، ما جعلها أفضل إذ ملأها من ذاته بعد أن حرك فيها الشوق الحار إلى المحبة؟"².

وهنا لا يمكن لإرادة الإنسان مثل إرادة الله، وأن الإرادة الصالحة تكون من عون الله وفضله، فالله هو القادر على احتواء الطبيعة.

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 92.

² القديس أوغسطين، مدينة الله، مج2، المصدر السابق، ص 72-73.

"إن فعل الإرادة هو نفسه فعل الحرية، أن تريد يعني أن تكون حراً، ولهذا فإن القديس أوغسطين يرى شهادة واضحة جداً لهذه الإرادة الحرة في كل نصوص الكتاب المقدس التي يوحينا الله فيها أو عيننا أن نفعل هذا الفعل أو ذلك، أو هذه الرغبة أو تلك، وفصلاً عن ذلك فإن هذه الحقيقة ليست حقيقة دينية فحسب، ولكنها لازمة لتوفير الخلاص وتلك واقعة تشهد بها التجربة الداخلية اليومية باستمرار فالإرادة هي "سيدها نفسها" وهي باستمرار "داخل قدرتها" تريد أو لا تريد ولا شيء تحت تصرف الإرادة بطريقة مباشرة أكثر من ذاتها"¹، يرى أوغسطين أن فعل الحرية هو الإرادة، وهذه الأخيرة ضرورية لتوفير الخلاص بطريقة أو بأخرى.

كما يذهب يوسف كرم في كتابه "تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط" على القول بأنه "هناك قضية ذات بين عامة المسيحيين، قام بها بيلاج يذيعها وينشئ شيعة تعلم أن الإنسان دائماً ووحده ومن تلقاء نفسه يريد الخير وأن يفعله دون احتياج لنعمة إلهية، فإن وجدت النعمة ظلت خارج الإرادة عديمة التأثير فيها، وعلى ذلك فلا اختيار من جانب الله يقرر مصير كل مخلوق، بل كل ما هنالك سبق علم الله بالمستقبل، فعارض أوغسطين هذه البدعة معارضة شديدة قال أولاً: من المحال ألا يعلم بالمستقبل ومن المحال أن يعلم أفعال المخلوقات من المخلوقات أنفسها، فالله هو العلة الفاعلة الأولى، بل إن كل إرادة فهي خاضعة لله حتماً، غير أن الإرادة الصالحة تخضع حرة... والإرادة الشريرة تخدمه خدمة الأمة، ثانياً: أن النعمة الإلهية ضرورية لكل فعل خير، وبنوع خاص في المجال الفائق للطبيعة أي للإيمان بالحقائق الموحاة... الأفعال أفعال الإنسان، ولكنها أيضاً أفعال الله بحيث تكون لها علتان إحداها خاضعة للأخرى فاعلة بتوجيهها وقدرتها، فليست النعمة ملائمة للحرية وإنما هي معونة لفعل الخير، وليس سبق علم الله بالأفعال دقة ضد الحرية"²

¹ اتين جلسون، المرجع السابق، ص 360.

² يوسف كرم، المرجع السابق، ص 40 - 41.

عارض أوغسطين بيلاج في أنه من المحال بأن الله لا يعلم بالمستقبل، لأنه هو العلة الفاعلة الأولى وأن كل إرادة تكون خاضعة لإرادة الله بالضرورة، أضف على ذلك أن النعمة الإلهية ضرورية لكل فعل خير ومنه فهي ملازمة للحرية ومساعدة لكل فعل خير.

"إن الله هو الخير بالذات ولا يوجه المخلوق إلا للخير ... ولأجل هذا أعطانا الله العقل نعلم به الخير وأعطانا المحبة نميل بها إلى الخير المعلوم، والعقل والمحبة مبدأ الحرية، وكلما طأوعنا مدى العقل وتحررنا من الشر ازدادت الإرادة حرية"¹

بما أن الله خلق الإنسان فهو لا يرضى له إلا الخير لذلك أعطى له العقل وكلما استعمل هذا الإنسان عقله في الأمور الخيرية وابتعد عن الشر أصبحت له إرادة وسرعان ما تتحول إلى حرية.

ويفرق أوغسطين بين الإرادة والقدرة حيث: "ولقد وضع القديس أوغسطين هذه التفرقة في شكل أكثر دقة حين فرق بين الإرادة والقدرة... إذ لن تكون الإرادة قدرة والعكس، لكن بقيت مشكلة أخرى، فلو أننا فرقنا تفرقة جذرية بين القدرة والإرادة فسوف ننتهي في النهاية إلى حرية تخلو من الفاعلية، ما دمنا نقول إن الحرية هي قدرة المرء أن يفعل ما يريد، لكننا فصلنا بعد ذلك بين الإرادة والقدرة وسوف يخالف ذلك كل الاستخدام المألوف للغة مادما قد اعتدنا أن نقول عن الإرادة الفعالة أنها حرة، ونحن نشعر بالرباط الوثيق الذي يربط بين الحرية فعل الإرادة وفعاليتها... ولقد أشار القديس أوغسطين نفسه إلى ذلك، ولم تكن النعمة كما تصورها بغير أثر عميق على الدور الذي تلعبه إرادتنا الحرة"²

لقد فصل أوغسطين بين القدرة والإرادة لأنه في نهاية المطاف نحصل على حرية خالية تماما من الفاعلية، مما ينتج في النهاية دور النعمة الإلهية وتجلي قدرات الله في الأثر الكبير

¹ يوسف كرم، المرجع السابق، ص 41.

² ايتن جلسون، المرجع السابق، ص 369.

على إرادتنا الحرة وفي هذا الصدد يقال: "فالإرادة الحرة نفسها تصبح بواسطة النعمة قوة وتحقق الحرية"¹، وفي علاقة الخطيئة بالإرادة "كما كان على أوغسطين مواجهة علاقة الله بإرادة آدم الذي عصى ربه، أي عندما كان عليه تغير وتبرير وتعقل الخطيئة الأولى، ومما لا شك فيه أن الخطيئة الأولى سر من اسرار المسيحية ومفهوم محير للعقل من شأنه إيقاع العقل في دور جهنمي، إذ ما حاول اقتحامه، فكيف للعقل أن يفسر كون الله خلق آدم خيرا لأنه يخلق إلا الخير فإذا بإرادة خليقه هذا تجه إلى المعصية أي للشر الأعظم؟"²، هنا نجد مفارقة وهي أنه كيف يمكن لآدم معصية الله والوقوع في مزلّة ذلك أن الله لا يخلق إلا الخير؟

"لم يفت أوغسطين تأكيد أن الله كان يعلم مسبقا بأن آدم سيعصاه وسيخطئ وسيسيء استخدام حرية إرادته ولهذا تركه ليفعل الشر، أي ترك آدم يفعل ما يريد هو لخليقته أن يفعله يقول لقد وضع الله خططه لأنه كان يعرف مسبقا أنه (أي آدم) سيسيء استخدام حرية اختياره أي أنه سيخطئ بحيث يستخدم لتحقيق الخير ذلك الذي سيفعل الشر أي بحيث لا تلغى إرادة الإنسان السيئة إرادة الله الخيرة بل تحققها"³، ولفهم هذا الحديث يعطي لنا القديس أوغسطين مثلا عن ذلك "وكان أوغسطين يعرف أن هذا الحديث المجرد مما يصعب فهمه ولذا لجأ للتشبيهات التي من شأنها تقريب المعاني، فشبه الإنسان بالأرض الطيبة وشبه الإرادة بالشجرة والأفعال الإنسانية بالثمار، خلق الله الإنسان خيرا مثله مثل الأرض الطيبة، إلا أن هذا الإنسان قد يتجه لفعل الخير أو لفعل الشر تماما مثل تلك الأرض الطيبة التي قد تنبت فيها شجرة خيرة أو شجرة فاسدة وأوغسطين يقصد بتشبيهه الطبيعة الإنسانية كما خلقها الله بالأرض الطيبة التمييز بين قوة الإرادة التي هي بطبيعتها خيرة، وبين فعل

¹ ايتن جلسون، المرجع السابق، ص 369.

² زينب محمود الخصيري، المرجع السابق، ص 95.

³ المرجع نفسه، ص 95.

الإرادة الذي يمكنه أن يكون خيرا أو شريرا أو بالتالي ينتج أفعالا إما خيرة أو شريرة"¹، إن هنالك فرق كبير بين الإرادة، وفعل الإرادة، والفعل إما يكون فعلا حسنا أو قبيحا، خيرا أم شريرا، على عكس الإرادة التي تحمل في طياتها الخير بطبيعتها.

"تتسلل الخطيئة من خلال الفعل الإرادي وليس من خلال القوة الإرادية أو المريدة والأولى خاصة بالإنسان، والثانية خاصة بالله، والفعل الإرادي يتجه للخير بفضل اللطف الإلهي الذي يحرره من الميل للخطيئة فيصبح حرا بالفعل أو يصبح هو الحرية بعينها، وهذه الدرجة من الكمال لم تتحقق إلا عند آدم قبل الخطيئة، وبعد السقوط لم تمنح هذه الحرية تماما إنما ضعفت قدرتها بحيث أصبحت عاجزة عن إتمام ما تختاره إلا بمساعدة اللطف الإلهي الذي يمنح للبعض دون البعض الآخر، وتحولت إلى ما يسمى بحرية الاختيار"² إذن فالخطيئة ناتجة عن الفعل الإرادي للإنسان طالما أن هذا الفعل مخصص للإنسان، ومن هنا فهذا الفعل يتجه للخير بواسطة اللطف الإلهي أو الكمال وهذه اللحظة تحققت عند آدم قبل وقوعه في الخطيئة، لكن بعد السقوط ضعفت درجتها لأن اللطف الإلهي يمنح لبعض البشر فقط وبالتالي تصبح إلى الحرية الشخصية في الاختيار، ويتحدث (موريس هافتيير) في كتابه: "الحكم الحر، الحرية والخطيئة عند أوغسطين" عن الحرية والإرادة فيقول: "إذن الحرية هي من الفوائد التي يجب أن يوجهها لنا اليسوع: "لأن الحرية هي الوعد الذي أعطاه المحدد لمن يصدق، يهزم بالخطيئة التي وقع فيها بإرادته الطبيعية تخص الحرية، ليس الإنسان الحر الذي هو بحاجة إلى الحرية لكن الإنسان المستعبد (العبيد) هذه هي الحرية الحقيقية"³، تبقى إرادة الله هي الإرادة الصحيحة على عكس إرادة الإنسان أو فاعليته، أو بعبارة أخرى، سيطرة الإرادة الإلهية على حرية الإرادة الإنسانية، وعلى هذا الأساس نرى مدى ربط القديس

¹ زينب محمود الخصيري، المرجع السابق، ص 95-96.

² المرجع نفسه، ص 96-97.

³ Movrice Huftier, libre arbitre, liberté et qéché chez sanit avgustin, librairie giard, lille, edition nou welaerts, place mgr ladeuze louvain, p 276

أوغسطين بين الحرية أو الإرادة الإنسانية وبين العناية الإلهية لأن الحرية عنده هي: "ليست القدرة على اختيار الخير والشر معاً، لأن هذا التعريف يجعل الله غير حر، إذ أن الله ليس له القدرة على اختيار الشر، لأن ذلك يعتبر نقصاً، بينما الله كاملاً، فالحرية شيء مطلق، لأنها تنتج للإنسان أن يرفض أي شيء لذا فقد وضع الحرية الإلهية في المقام الأول، وكذلك هي القدرة على اختيار هذا أو ذاك، وهي من خصائص الإنسان، فنفي الحرية عنده هو تأكيد لوجودها"¹، وكما يذهب القديس أوغسطين بأن الحرية الإنسانية لها علاقة وطيدة وكاملة مع طبيعة الناس، وكذلك العناية الإلهية فهي تابعة لله وحده، وفي الأخير فالإرادة أو الحرية لها ارتباط وثيق بالله، لأنه هو مصدر الحرية، ومنه فالحرية الإنسانية ناتجة وخاضعة من الحرية الإلهية، ومسألة الحرية في النعمة الإلهية لا تقيد الإرادة الإنسانية، بل تدعمها بالعقل والمحبة والتفكير، ومنه فالحرية هي التي تخلص الإنسان من الخطايا والشرور التي يقع فيها.

¹ كامل محمد عويضة، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص



الخطيئة وعلاقتها بالفكر السياسي والتاريخ عند القديس أوغسطين

المباحث:

❖ الخطيئة وعلاقتها بالفكر

السياسي عند القديس

أوغسطين

❖ الخطيئة وعلاقتها

يعتبر القديس أوغسطين من المفكرين الدارسين لمسألة التاريخ، فقد ظل ساعيا في رحلة طويلة للبحث عن الخلاص والحقيقة أينما وجدت، وذلك من أجل إثبات الحقائق التاريخية ودراسة الأحداث والوقائع التاريخية، مركزا في البداية على مسألة أخلاقية وهي الخطيئة التي نتجت عنها عدة آثار وعقوبات ومخلفات، التي أدت إلى الإخلال بالنظام، وعلى هذا الأساس نتساءل: كيف كانت نظرة القديس أوغسطين إلى مسألة التاريخ؟ وكيف كانت نظريته إلى السياسة والقوانين الإلهية؟

المبحث الأول : الخطيئة وعلاقتها بالفكر السياسي عند القديس أوغسطين

بعد أن خلق الله آدم وحواء، ومنح لهما السعادة الابدية، وكانا بعيدين عن الشقاء، لكن ما حدث، انهما وقعا في الخطيئة، هذه الخطيئة ترتب عنها عدة عقوبات ومخلفات من بينها: فساد الطبيعة البشرية، حيث أن الخطيئة اثرت في كثير من الجوانب سواء من حيث النفس او الجسد، لذلك تعددت اثار الخطيئة، ونذكر منها: ظهور العبودية، والحرب، وعلى هذا الاساس يمكن أن نطرح التساؤل التالي: ما علاقة الخطيئة بالفكر السياسي عند القديس أوغسطين؟

"كان البشر يعيشون حياة خالية من أي سيطرة من الإنسان على أخيه الإنسان، ولكن ثمن الخطيئة هو ولادة تلك السيطرة، وهذا امر شرعي".¹ وهذا يعني أن الإنسان كان يعيش بعيدا عن السيطرة والعبودية على الآخر، ولكن وقوع الإنسان الأول في الخطيئة هو سبب وقوع هته السيطرة وهو أمر لا نقاش فيه، أي ضروري، لان ما يدل عليه القديس أوغسطين هو توارث الخطيئة، ومن هنا كان لابد من وجود دولة تحكم على الخطأ، وتنظم حياة الأفراد. "إن الدولة لا تتشا عن عقد ولا تتشا كذلك عن خطايا الناس، وإنما تتشا عن الغرائز الموجودة في الطبيعة الإنسانية، ولهذا فالدولة ضرورية، وليست شيئاً عرضياً"². ومنه فالدولة لا تتشا عن عقد اجتماعي، وإنما تتشا عن غرائز موجودة في الإنسان بطبيعتها، لذلك فان مفهوم الدولة عند القديس أوغسطين يختلف في مجمله عن سائر التعاريف الأخرى حيث يعرفها بأنها: "مجموعة عاقلة تتوحد حول تملك مشترك وهادئ لما تحب، وأراد إنسان أن يعرف شعبا ما عليه بكل تأكيد، أن يتأمل في ما يحب، ولكن أيا يكن موضوع حبه، واجتمعت مخلوقات عاقلة دون حيوانات، وارتبطت فيما بينها في تملك مشترك وهادئ لما تحب، حق لها شرعا اسم دولة، وتكون دولة ممتازة إذا كانت المصلحة التي تجمع بين

¹ جورج سعد، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة و الوسطى، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2000، ص 147

² عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 38

أفرادها شريفة، والعكس صحيح أيضا.¹ أي أن الدولة لا بد من أن تتكون من افراد تجمعهما مصلحة شريفة، وبالتالي فهي دولة ممتازة، وعلى العكس من ذلك، أي اذا كانت تجمع بين افراد الدولة مصلحة فاسدة، فسينتج عن ذلك دولة غير صالحة، لان الدولة في نظر القديس اوغسطين : "تجمع لكثرة تريد أن تعيش بموجب قانون مرضي به في اطار من المصالح المشتركة"² وهذا يعني أن الشعب حين يرفض القانون، فهذا يدل على أن هذا التجمع، لا يليق بان يصبح دولة، لا لشيء سوى لان هذا الشعب لا يريد أن تطبق عليه القوانين. هذه الدولة لا بد وأن لها نظام حكم، لكن القديس أوغسطين يؤكد على حتمية، وهي التوافق والتجانس حيث أن: "اذا وجب الوصول إلى شيء من التجانس والتوافق بين اصوات مختلفة ومتنافرة في الآلات الموسيقية حتى على حساب السمع المرهف، وان كان تعيين النغم يوحد بين الاصوات الاكثر تباينا، فمن الضروري تامين التجانس في النظام العام في صفوف المجتمع العالي، والمتوسط، والفقير، تامينا لوحدة المواطنين، لان تجانس المنشدين يشبه الاتحاد في الدولة، وهو نوع من الرباط الضيق الذي يضمن لها بحق وقوة استمراريتها التي لا يمكن أن تتحقق بلا عدالة"³، إن التجانس في المجتمع محتوم، ولا بد منه كي تحقق الدولة استمراريتها، ولا يكون ذلك الا بواسطة العدل، لذلك فهو يصر على العدل، ويعتبره اساس قيام الدولة، وان المدينة او المجتمع الذي لا يطبق العدالة الحقيقية بين افراد مجتمعها، هي مدينة الكفرة، وبالتالي فهي لا تصلح أن تكون دولة ما دامت انها لا تطبق العدالة بين افراد مجتمعها، يقول القديس أوغسطين: "لان مدينة الكفرة لا تعرف العدالة الحقيقية"⁴. ويقول أيضا: "وان لم يكن هنالك شعب، فلا شيء يسمى دولة العدالة هي

¹ القديس أوغسطين، مدينة الله، مج 3، نقله إلى العربية يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص 161، 162.

² المصدر نفسه، ص 101.

³ القديس أوغسطين، مدينة الله، مج 1، المصدر السابق، ص 91.

⁴ القديس أوغسطين، مدينة الله، مج 3، المصدر السابق، ص 162.

هذه الفضيلة التي تعطي كل واحد حقه".¹ لا توجد دولة بدون شعب، ولا شعب بدون دولة، وان وجدت الدولة بدون عدالة، فلا أساس لها هي الأخرى، ويطلق القديس أوغسطين على العدالة الحقيقية بالفضيلة نظرا لما تحمله من معنى إن طبقت، إن العدالة في نظره هي ضرورة في بناء الدولة، وهي الفضيلة التي تعطي لكل واحد ما يعود له، فالدولة التي أقامت العدالة، ونجحت في إقامة علاقاتها الاجتماعية، حتما ستجد الاستقرار، والقوة، ومنه فالدولة هامة في حياة الناس للحفاظ على المجتمع، لذلك كان لتحقيق الأمن والاستقرار، والسلام في تلك المجتمعات كان لا بد أن يتم وفق قوانين فالقانون من خلاله يعرف الإنسان المساواة، وخاصة إن كان هذا المجتمع يتصف بالطبقية"أساس الحياة الاجتماعية القانون الطبيعي، وهو قانون سيكتشفه الناس جميعا بالعقل، ويحترمونه جميعا، فانه يرجع كله الى قضيتين ضروريتين:

الواحدة ألا يصنع المرء بالآخرين ما لا يريد أن يصنع به، والآخرى أن يعطي كل ذي حق حقه"²، إن الحياة الاجتماعية يجب أن تكون مؤسسة على قانون واحد لا غير، وهو القانون الطبيعي، وهو القانون الذي يعرفه الناس بالعقل، ويجب احترامه أيضا ذلك انه لا يستخدم هذا القانون في خدمة مصالح الناس الخاصة فقط، لان هذا الاستخدام ليس في محله، كما أن هذا القانون يجب أن يتسم بميزة اساسية، هذه الميزة الاساسية هي العدالة، وهي اعطاء كل ذي حق حقه، لكن ما حدث هو أن ادم قد وقع في الخطيئة حين قام بعصيان الله فكان جزاؤه: "ولكن ادم عصى ربه فانحط عن المرتبة التي رفعه الله اليها، وحط معه ذريته، فأضحى الإنسان خلوا من المواهب الالهية...فوجب تقرير القانون الوضعي"³.

¹ القديس اوغسطين، مدينة الله، مج3، المصدر السابق، ص151.

² يوسف كرم، المرجع السابق، ص 50

³المرجع نفسه، الصفحة نفسها

ومن هنا يمكن القول بان الخطيئة التي وقع فيها ادم، فرضت القانون الوضعي، واصبح ضروريا، ويشترط القديس اوغسطين عدة ضوابط للقانون الوضعي "يجب أن يصدر عن القانون الطبيعي.....القانون الوضعي اضيق نطاقا من القانون الطبيعي.....القانون الوضعي تابع الى حد ما لظروف الزمان والمكان"¹، اذن ما دام انه قانون وضعي، فهو خاضع للقانون الطبيعي، لان هذا الاخير هو مصدره، والقانون الوضعي يمكن حصره في موضع معين، وهو مقيد بظروف الزمان والمكان.

اهتمت المسيحية اهتماما كبيرا بالدولة، لأنها تمنح للمواطنين العيش في حياة اجتماعية تتميز بالتطور، والاستمرار، ويضرب لنا مثلا عن ذلك القديس أوغسطين عن مدينة الله، "كيف ظهرت مدينة الله إلى الوجود، وكيف تتقدم وتتمو في مسيرتها، لتصل إلى غايتها الخاصة إن لم تكن حياة القديسين فيها اجتماعية"² فالعلاقات التي تجمع بين المواطنين تؤثر على الدولة إما بالإيجاب، أو السلب، فهي تؤثر عليها بالإيجاب حين تسود العلاقات بين المواطنين، وتجمع بينهم الصداقة، فيعم بذلك السلام والأمن والاستقرار، وهي تؤثر عليها بالسلب حين تكون هنالك مصلحة فاسدة بين مواطنيها، وبذلك يمكن القول انه لا يوجد انسجام وتلاحم بينهم، مما يؤثر على الدولة، فالحياة الاجتماعية لها اثر كبير على الدولة، لان في الحياة هذه كثيرا ما تغطي عليها الخيانات وتسود "ما من خيانة اشد إيلا ما على الإنسان من تلك التي تغلف بالمحبة، أو بالقرابة، يمكن للفطنة أن تحذر عددا معروفا، لكن خدعة مخفية داخلية وعائلية، ليست فقط على مقربة منا، بل إنها تلفتنا قبل أن نتمكن من أن ننظر ونعرف"³. لذلك فان الخيانات في بعض المجتمعات تبدو أنها قد عرقلت شؤون الدولة، وكلما زاد حجم تلك الخيانات، كانت الحياة الاجتماعية تتصف بالخطورة.أضف على

¹ يوسف كرم، المرجع السابق، ، ص50_51

² القديس أوغسطين، مدينة الله، مج3، المصدر السابق، ص 121

³ المصدر نفسه، ص121، 122

ذلك أن اللغة تلعب دورا كبيرا في تكوين العلاقات الاجتماعية، والتي تجعل المواطنين أكثر تماسكا¹ فيبقى التجانس في الطبيعة عاجزا عن الربط فيما بينها كبشر، ويبدو أن الإنسان هو أكثر انسجاما مع كلبه منه مع الإنسان الغريب، غير أنهم يقولون أن مدينة أنشئت للإمبراطورية لم تفرض سيطرتها وحسب، بل أيضا سيطرت لغتها رسميا واجتماعيا على الشعوب المغلوبة¹، إن اللغة هي ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم، ويجب أن تفرض نفسها، وتستقر، شأنها شأن كل العادات والتقاليد الأخرى، وذلك من أجل تحقيق الحضارة، ومنه فاللغة أيضا ضرورية لبناء العلاقات الاجتماعية. هذا وقد بين القديس أوغسطين أرائه حول الحرب مربطاً إياها بتحقيق العدالة "ويذهب حق تأييد العدالة بالقوة إلى حد الحرب، إن للحرب خصوما يزعمونها مضادة للأخلاق.....فالحرب مشروعة متى كانت الوسيلة لصيانة الحقوق المهددة، والذين يموتون فيها مائتون حتما يوما، وهم إنما يموتون لكي تحيا الأجيال التالية في كرامة وسلم"² و أضاف إلى ذلك أن الطاعة واجبة في الحرب، وبالتالي فما على الجنود إلا الطاعة للأوامر، وعدم عصيانها، لان ذلك يعتبر تمردا حيث "فعلى الجند الطاعة، وهم لا يعتبرون قتلة، لان القتل الذي حرمه الله هو الصادر عن هوى شخصي، عليهم الطاعة حتى لو كانوا يشكون في عدالة حربهم"³. لا يحق للجنود العصيان للأوامر المفروضة عليهم، حتى لو ظنوا بأنهم لا يتقون في عدالة حربهم، وهنا يمكن أن نستنتج أن الحرب عند القديس أوغسطين ذات نزعة إنسانية.

يقر القديس أوغسطين بان "المثل الأعلى للدولة، إنما هو المثل المسيحي، وهذه الدولة التي يتصورها هي التي تستمد سلطتها من الله مباشرة، ومعنى هذا أنها لن تكون دولة علمانية خالصة، بل ستكون دينية كذلك"⁴ إن تعاليم المسيحية مناسبة للدولة، حيث أن هذه

¹ القديس أوغسطين، مدينة الله، مج3، المصدر السابق، ص125

² يوسف كرم، المرجع السابق، ص51

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص38

الدولة لا تقوم بسياسة فصل الدين عن الدولة، بل ستحظى هذه الدولة بالعامل الديني، طالما هو أساس من أسس قيام الحضارة. طالما كان الاهتمام بالدين من مهام الدولة"إن الدولة ستكون من مهمتها الأصلية ما يتصل بالحياة الدينية، أي أنها ستعمل من أجل تحقيق السعادة على الأرض، وتحقيق السعادة في الآخرة بالنسبة للمواطنين"¹ ومنه فإن الدولة سيكون من مهمتها الأصلية أن تنشئ علاقة وطيدة بينها وبين الحياة الدينية، أي فالدولة يجب أن تظل ساعية في تحقيق السعادة لمواطنيها، وذلك بالاتصال بالدين، فمن خلال اتحاد الدولة بالدين يتحقق للمواطنين السعادة في الدنيا، وفي الدار الآخرة، من هنا ومن هذا المنطلق تحددت العلاقة بين الدولة والكنيسة"فالأخيرة تشرف على الأولى، من أجل توجيهها إلى الحياة الآخرة، والدولة تساعد الكنيسة على تحقيق أغراضها"²، إن العلاقة بين الدولة والكنيسة علاقة تكاملية فكل واحد منهما يكمل الآخر، فالدولة هي القائمة على أمور الكنيسة، وتحقق مصالحها أيضا، والكنيسة هي الأخرى تحاول بتعاليمها الدينية أن توجه الدولة نحو الدار الآخرة، إن من خلال ملاحظتنا لتلك العلاقة التكاملية يمكن للدولة أن يسودها الاستقرار، ويعم السلام والامن في جو من السعادة والأخلاق، وبما أن أوغسطين قد ألف كتاب مدينة الله، والملاحظ فيه أن "القضية التي دار حولها، وهي استقلال الكنيسة عن الدولة، كانت لها أهمية كبرى في العصور الوسطى، وما زالت أهميتها في بعض الأماكن حتى الآن"³، ما يبين أهمية العلاقة بينهما(الدولة، الكنيسة)، لكن التركيز أكثر حول الكنيسة حيث"أن الدولة ينبغي أن تطيع الكنيسة حتى تصل إلى الخلاص"⁴ ومنه يمكن القول على أن هذه الأفكار قد نشأت عنها ما يمكن وصفه بالتراث الأوغسطيني، الذي يرى حق الدولة

¹ عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 39

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ برترند راسل، حكمة الغرب، ج1، تر:فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1983،

ص 231

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

ضمن حق الكنيسة، أي أن هناك خدمات متبادلة بينهما، أضف على ذلك أن أساس العلاقة بين الدولة والكنيسة هو التعايش السلمي" ولكن بالرغم من هذا فإن أوغسطين الذي عاش مشاكل الكنيسة والمسيحية، وتبين له إمكانية مساندة الدولة لها، ودعا إلى علاقة براغماتية بين كنيسة الله، ودولة البشر هي علاقة أساسها التعايش السلمي"¹، إن كل ما يريده القديس أوغسطين، هو نشر الديانة المسيحية، وفرض تعاليمها على المجتمعات، محاولاً ربطها بالدولة، لتتأسس بعد ذلك دولة مسيحية تسود فيها المحبة، بعيدة عن الشقاء، هادفة إلى تحقيق العدالة، ولتحقيق تلك العدالة كان لا بد من الحديث عن السعادة وربطها بالعبادة الإلهية، ذلك أن تحقيق السعادة له شأن كبير، يمكن أن يصل إلى تأسيس دولة، يعمها الحب بين أطرافها، حيث أن القديس أوغسطين قد عبر عن هذا المصطلح بأنه "القوة الديناميكية، أو المحركة للنفس الإنسانية، والدافع لأفعالها"²، ومصطلح الحب في الحقيقة هو فكرة أفلاطونية، إلا أن القديس أوغسطين قد أخذها منه "جعل القديس أوغسطين الحب إذن هو صانع الحياة الاجتماعية، فهو الذي يحرك الإنسان ليحصل على ما يرغب فيه، على أن الإنسان قد يرغب في الأمور كغايات في حد ذاتها، وقد يرغب فيها كوسيلة يستعين بها للحصول على غايات أبعد، وكل الأمور منتظمة في نظر أوغسطين في نسق، أو نظام، بحيث يكون بعضها وسائل لما هو أسمى منها، أي لغايات تكون هي بدورها وفقاً لواقعها....و على قمة النظام تتربع الغاية القصوى المتمثلة في حب الله، هي الغاية الوحيدة التي ينبغي أن يسعى إليها المسيحي"³، إن تحقيق السعادة والمتعة لن يكون إلا بواسطة الله، والإرادة المسؤولة عن تلك الغاية، هي السعي والحب، ومن ثمة فإن القديس أوغسطين يريد تأسيس نظام يضمن الحقوق، ويوجه السلوك الاجتماعي، ويقيم دولة عادلة معتمداً في هذا النظام على السعادة، والتي لن تتحقق إلا بواسطة الله، والإنسان كان في محبة دائمة لله،

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 168 .

² المرجع نفسه، ص 144

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

وكان هذا بطريقة نظامية وطبيعية، إلا انه بعد الخطيئة انحرف حيث "أن الإنسان كان يحب الله بطريقة تلقائية، ثم انحرف بالخطيئة، ولهذا يمكن أن يصح مسار الحب البشري"¹ وهذا يعني أن الخطيئة هي سبب شقاء الإنسان، لذلك فالسعادة عند القديس أوغسطين لا يعنىها بالإنسان فقط، لطالما كانت هي الأخرى لن تتحقق إلا بواسطة الله، كذلك السعادة بالنسبة للملائكة فسببها هو الوثوق والاتحاد بالله "سبب السعادة للملائكة الصالحين اتحادهم بالله، وشقاء الشياطين بالتخلي عنه"² ما يبين أن أهمية مصدر السعادة وتحقيقها لا يكون إلا من عند الله وحده، فهو الوحيد المسير للكون. إن كل الناس يخضعون لجميع القوانين، أي أن كل الناس سواسية "الأحكام التي يصدرها بشر ضد بضر، إنها لأحكام تبقى ضرورية على مستوى المدن أيا يكن السلام الذي يتمتعون به"³ وهذا يعني أن الناس في أي مكان وزمان، هم خاضعون للقانون الوضعي، والسبب الوحيد في ذلك هو أن الخطيئة هي التي جعلت مكانة للقانون الوضعي في الدولة، بل وأكثر من ذلك هو ضروري للدولة، ومنه إلى تحقيق السعادة.

إن تلك الأنظمة السياسية التي ظهرت، إنما ظهرت بسبب الخطيئة، وهذا يعني عصيان الله لأوامره، والخروج عن القانون الإلهي، لذلك ظهرت القوانين الوضعية بواسطة أنظمتها، كما أن القديس أوغسطين يرى بان الدولة لا تحقق العدالة إلا إذا ارتبطت بالمثل المسيحي، فهو يعتبره المثال الأعلى لها، وهو المثل الذي يحقق العدالة في نظره، ويحقق العدل والإنصاف بين أفراد المجتمعات، إذن إن العدل المسيحي هو الوحيد الذي يستطيع التحكم والتوجيه في البشرية جمعاء.

¹أتين جلسون، المرجع السابق، ص 334

²القديس أوغسطين، مدينة الله، مج2، المصدر السابق، ص66

³القديس أوغسطين، مدينة الله، مج3، المصدر السابق، ص122

المبحث الثاني: الخطيئة وعلاقتها بالتاريخ عند القديس أوغسطين

إهتم القديس أوغسطين بمسألة التاريخ، لذلك اعتمد عليه لكي يثبت الحقيقة التاريخية "من الذي يحرك التاريخ... الله بالطبع ووسيلته هي اللطف"¹، مما يؤكد أن الله هو الذي يتحكم في التاريخ وأن الأحداث التاريخية تخضع لمشيئة الله: "تشير نظرية العناية الإلهية إلى أن التاريخ مسرحية ألفها الله ويمثلها الإنسان، أي أن وقائع التاريخ تخضع للمشيئة الإلهية، بل هي التي شكلتها على نحو ماهي عليه، تنكر هذه النظرية القول بالمصادفة لأنها لا تعني إلا الفوضى أو العبث، والإيمان بالعناية الإلهية في التاريخ يقتضي إيماناً بالله، ومن ثم فإنها ليست مجرد نظرية ولكنها ترقى إلى مستوى الاعتقاد، إذ لا بد من تدخل محكم من الإله الحكيم ليخطط الإنسان العاجز عن فعل الخير لنفسه، ولو لا هذا التدخل الإلهي لأصبح التاريخ كومة مضطربة من عصور متراكمة في عبث أو مأساة رهيبة دون بداية معقولة أو نهاية مقبولة"²، إن التاريخ عند أوغسطين هو من عند الله، وهو ظاهرة أشد تعقيداً من الظاهرة الطبيعية، وهو يرفض المصادفة التاريخية لأنها لا تدل إلا على الفوضى وخلق المشاكل، ومن هنا فلو لم يكن التاريخ محكماً من عند الله أي التدخل الإلهي، لأصبح التاريخ عبارة عن أحداث متراكمة وحقائق جزئية غير مرتبة، وهذا ما يعرف ف دراسة المنهج التاريخي.

"يرى أوغسطين بأنه لا دور للبشر في صنع تاريخهم عند أوغسطين، فهم مجرد أدوات يستخدمها الله لتحقيق إرادته وكل خطته، فالله هو الذي خلق كل شيء وهو الذي يتحكم في كل حياة البشر الاجتماعية والفردية، وهو الذي أوحى لعقول البشر بما ابتدعوه من علوم وفنون وهو الذي منحهم النار الأرضية التي يسرت حياتهم وعاونتهم على تلبية احتياجاتهم، وتلخيصاً لكل هذا يقول أن الله يملأ السماء والأرض بقوة فعلية وليست بطبيعة هي بالقوة

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 81.

² أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1975، ص 166.

ولهذا فهو يتحكم في كل خلفيته بحيث يجعلها هي نفسها تأتي بأفعالها وتطورها، فبالرغم من أن المخلوقات عاجزة عن أن تكون شيئاً بدونه فهي ليست هو"¹، إن البشر ليسوا بصانعي تاريخهم، بل هو الله بصفته خالق كل شيء ويتحكم في كل شيء هو المحرك الوحيد لتلك الأحداث التاريخية، وأن كل ما أنجزه البشر، إنما هو من صنع الله وفي هذا: "جعل الله وحده خالق كل شيء ومحرك كل الأشياء واستخدم لدلالة على ذلك مصطلحا أرسطيا هو مصطلح الفعل ليجعل الله وحده هو الذي يحول إرادات البشر من القوة إلى الفعل، وبهذا يكون أوغسطين قد حقر تصور الألوهية الأرسطي الذي يحرم المحرك الأول أو الله من كل فاعلية، وصحيح أن الخلفية تأتي بأفعالها ولكن الفضل في ذلك يرجع لله وحده، ولو لما فعلت هي شيئاً..... وليجعل الله هو الفعل الخالص والعلة الفاعلة"²، يستخدم أوغسطين المصطلح الأرسطي وهو الفعل، ذلك أن الله هو الذي يصنع إرادات البشر فبواسطة سيطرته على كل شيء بإمكانه أن يحول العمل الإنساني من القوة إلى الفعل فهو بذلك قد احتقر المنظور الأرسطي الذي يحرم أو يبطل الفاعلية من قبل الله، لكن الإسهام هو من طرف الله وبدونه لا يستطيع البشر فعل شيء.

إن التاريخ عند القديس أوغسطين لم يعد كما كان عند السابقين سلسلة من الدورات المتكررة التي لا يجد فيها جديد حيث: "رد أوغسطين على القائلين بالتعاقب الدوري في التاريخ، ذلك أن الحوادث وفقا لهذا الرأي تميل إلى أن تتكرر، بينما اللاهوت المسيحي يجعل من صلب المسيح أهم واقعة تاريخية منذ بداية الخلق، ومن ثم عارض أوغسطين القول بالتعاقب الدوري مؤكدا فردية الواقعة التاريخية ومن ثم استحالة تكرارها، إن صلب المسيح من أجل البشر كي يفدي خطاياهم حادثة فردية لا تتكرر لا بالنسبة له ولا بالنسبة لفرد آخر، كذلك قيامه من بين الموتى إنهم في ضلال حين يعتبرون الدائرة أكمل الأشكال ويستخدمونها

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 99-98.

² المرجع نفسه، ص 99.

في التاريخ بدلا من الخط المستقيم إنهم يقيسون بعقولهم الضيقة أحكام العقل الإلهي¹، إن معظم المؤرخين أو الدارسين للوقائع والأحداث التاريخية يقرون بضرورة أساسية وهامة ألا وهي الدورة التاريخية وذلك في دراسة الأحداث الإنسانية في محاولة لتفسيرها، لكن أوغسطين يعارضهم في ذلك مقرا بعدم تكرار الواقعة التاريخية، ومؤكدا بفرادتها ويعطينا مثلا عن ذلك في فداء الخطيئة حيث أن المسيح في صلبه هي عبارة عن واقعة تاريخية فردية ويستحيل تكرارها وكذلك قيامه حيا بين الموتى، لذلك فأوغسطين يرفض الدورة التاريخية ويقول بدلا من ذلك بالخط المستقيم أي خط طولي له بداية ونهاية، ومنه فالتاريخ يتجسد في هذا الخط وهو لا يتكرر ولا يعترف بالمصادفة التاريخية.

"إن الثقة المطلقة في سيطرة العناية الإلهية على التاريخ، والثقة في أن هذه العناية لا بد وأنها خيرة وعادلة جعلت أوغسطين ينظر للتاريخ نظرة كلها تفاؤل وعلى الرغم من ذلك يطلق على كل مسار التاريخ اسم العصر السيء أو الفاسد إلا أن الغاية يسعى إليها التاريخ، أو الهدف الذي إذا ما تحقق أنهى التاريخ ألا وهو اكتمال مدينة الله، كانا كفيلا بجعله يتقاعل ففي نهاية الأمر لا بد وأن الله يريد للإنسانية خيرا، ولذا وأن تنتهي رحلتها على الأرض إلى الخير"²، إن كل ما يريده الله للإنسانية هو الخير، مما جعل أوغسطين ينظر نظرة حسنة للتاريخ مادامت سيطرة العناية الإلهية عليه سيطرة ذو تفاؤل، لذلك كان لا بد من منهج لدراسة التاريخ، ويعتبر أوغسطين من الذين تبناوا هذا المنهج الذي يتولى بدارسة الأحداث الإنسانية الماضية في محاولة لتقنينها وتفسيرها، لكن الملاحظ على هذا المنهج وقوع أخطاء تاريخية لأن الدارس لذلك المنهج كثيرا ما يتعصب لمذهب معين أو فئة ما، فأول خطوة قام بها تمثيل في سد الثغرات التاريخية حيث "أول مثال لثغرة تاريخية صادفها أوغسطين في الكتاب المقدس هي عدم ذكره إلا لهابيل وقابيل وشيث... من أبناء آدم..... هذه الثغرة

¹ أحمد محمود صبحي، المرجع السابق، ص 169.

² زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 100.

التاريخية يبرزها أوغسطين بأن الكتاب المقدس لم يكن يعنيه عصر كل ذرية آدم بل كان يعنيه فحسب ذرية آدم التي تنتهي في تسلسلها إلى إبراهيم أبي الأنبياء¹، "وهنا أوغسطين قد قام بعملية تركيب الأحداث التاريخية وسد الفراغات والفجوات التي ظهرت بعد عملية التركيب في محاولة لبلوغ الحقيقة التاريخية وهي أن الكتاب المقدس قد اهتم بالمذاهب التي تعني إبراهيم وحده، وثاني خطوة تتمثل في إعادة ترتيب الأحداث أو يمكن تسميته أيضا بإعادة كتابة التاريخ لما لاحظته من عدم التزام الكتاب المقدس بالترتيب الزمني في كل الأحوال"²، لاحظ القديس أوغسطين بعض الأحداث التي لا تبدو مترتبة في زمانها لذلك كان يعيد ترتيبها في كتابه مدينة الله، واضرب مثلا على ذلك ما جاء في الكتاب المقدس في سفر التكوين: "ومن سام والد جميع عابر والابن البكر لياث ولد عابر"³ وهذا يعني لنا أن سام ولد عابر، إلا أن القديس أوغسطين قد بين هذه الحقيقة التاريخية مبينا التسلسل المنطقي للأحداث وهي "أن يعرفوا أن سام هو الأصل الجامع لجميع الذين خرجوا من ذرته"⁴

وثالث خطوة بناها القديس أوغسطين في دراسته للتاريخ هي "النقد التاريخي"⁵ إن في الحقيقة هو أن النقد التاريخي يتمثل في النظر الى المستندات والوثائق التاريخية حتى يتأكد من أصالتها وخلوها من التزوير، والدسائس، والمال على ذلك هو أن القديس أوغسطين " قد رفض ما جاء في الكتاب المقدس عن بناء قابيل أو ابنه لمدينة الله بأكملها، و علل أوغسطين رفضه هذا بان فرد لا يستطيع بمفرده أن يفعل ذلك، وبأن المدينة بحكم تعريفها هي مجموعة من الناس تربط بينهم صلات اجتماعية، وهو ما يتنافى مع كون فرد واحد هو الذي بناها"⁶

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 62، 63.

² المرجع نفسه، ص 63.

³ الكتاب المقدس، سفر التكوين الإصحاح: 10/21

⁴ القديس أوغسطين، مدينة الله، مج 2، المصدر السابق، ص 287

⁵ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق، ص 63

⁶ المرجع نفسه، ص 64

وهي الحقيقة التي اقراها القديس اوغسطين ،اما اخر خطوة تناولها في دراسته للمنهج التاريخي عي "التأويل الرمزي ،أو التفسير المجازي"¹ وهي الخطوة الوحيدة التي كان يستخدمها حينما يعجز عن تطبيق باقي الخطوات الانفة، مما يبين ذلك أن القديس اوغسطين قد دعم الكتاب المقدس من خلال التأويل، وهو ما يتضح لنا في كتابه مدينة الله ،فالقصة الواحدة تحتل عدة تأويلات"فذاك أيضا برهان اكثر وضوحا على أن حيوانات كثيرة من جميع الأجناس جانب السفينة، لا للتعويض عن الأجناس الهالكة، بل ترمز الى ما سوف يجتمع سرىا من الأمم قاطبة في كنيسة المسيح"² لقد اعتمد القديس اوغسطين على المنهج التاريخي لدراسة الحوادث والوقائع التاريخية رغم تداخلها الشديد، الا انه قد ادرك الترابط فيما بينها، وقد تأكد من سد الفجوات التاريخية، وذلك من اجل عرض حقيقة تاريخية في صورة معقولة.لقد اعتبر القديس أوغسطين أن الله هو المحرك الوحيد للتاريخ، وكان هذا بواسطة العناية الإلهية،وقد استخدم القديس أوغسطين المنهج التاريخي في دراسة الحوادث التاريخية ،وقد مثل التاريخ بخط مستقيم، وهو يتجسد في هذا الخط، وهو لا يتكرر أبدا،كما أنكر أيضا وقوع المصادفة في التاريخ،

ليذهب القديس اوغسطين الى الحديث عن نهاية التاريخ ،و اطلق عليه باسم "الدينونة الأخيرة"³ ، وتعرف هاته الأخيرة على أنها: "مجيء المسيح النازل من السماء ليدين الاحياء والأموات، وهو المجيئ تعترف به، وبه تؤمن كنيسة الله الحق باسرها"⁴ فعندما عصى ادم ربه،وورث البشرية تلك الخطيئة، كان من الضروري أن يطبق الرب العدالة الإلهية، وهي أن يحاسب كل امرئ بما فعل من صغيرة وكبيرة ،وهذا ما بينه الكتاب المقدس " إن من يزرع الحب الجيد هو ابن الإنسان والحقل هو العالم، واللب الجيد هم أبناء الملكوت، الزؤان يعني

¹ زينب محمود الخضيرى، المرجع السابق ، ص64

² القديس أوغسطين، مدينة الله ،مج2، المصدر السابق، ص295

³ القديس أوغسطين، مدينة الله،مج3، المصدر السابق، ص170

⁴ المصدر نفسه، ص170، 171

أبناء الهلاك والعدم الذي يزرعه هو الشيطان، والحصاد هو نهاية الجيل ،و الحاصدون هم الملائكة، كما أن الزؤان يجمع ويلقى في النار ليحترق، هكذا سيكون في نهاية الجيل يرسل ابن الإنسان ملائكته فينتزعون من مملكته جميع الشوك، وفاعلي الاثم ليلقي بهم في اتون حيث البكاء، وصريف الإنسان حينذاك يضيئ الصديقون كالشمس في ملكوت ابيهم"¹.

كانت مدينة الله تسير بسلام دائم، لكن وبعد اضطهاد مدينة الأرض، انتشر الفساد والتناقض في مدينة الله التي كادت تنتهي لو لا مجيء المسيح الذي أنقذها، حيث "ورأيت ملاكا هابطا من السماء ومعه مفتاح الهاوية وبيده سلسلة عظيمة فقبض على التتين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة وطرحه في الهاوية وأقفل خاتما عليه لئلا يضل الأمم بعد إلى تمام الألف سنة"²، ومعنى هذا أن الألف سنة هته هي التي يكون فيها أفراد مدينة الله على الأرض أحياء، "ورأيت نفوس الذين قتلوا لأجل شهادة يسوع ولأجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للموحش ولا لصورته، ولم يشموا بالسمة على جباههم ولأنني أيديهم، فحيوا وملكوا مع المسيح ألف سنة"³، بعد أن كان المسيح ومعه أبناء الله لم يأت الأشرار وإلا بعد ألف سنة أراد الله أن يختبر أبناء مدينته وذلك بتحرير الشيطان من قيوده التي كان ضمنها طوال ألف سنة حيا "وسوف يحرر من القيود حين لا يبقى سوى زمن قصير، يترك الكتاب المقدس ثلاث سنوات وستة أشهر للشيطان وزبانيته ولكن المؤمنين الذين يواجهونه لن يهزموا أمام أحابله المتعددة وشراسة محاربيه على أنه لو لم يكن حرا لكانت قدرته الشريرة أخف وطأة، إن صبر المدينة المقدسة والأمانة الأقل امتحانا، وكل الخير الذي يمكنه أن يجنيه العلي من شر هكذا كبير، قد يكون أكثر ضمانا"⁴، هنا نجد الحرب على القديسين والمسيحيين وبالتالي فالشيطان لم يترك القدرة على تجربتهم وذلك بدرجة أشد تعقيدا من التي

¹ الكتاب المقدس، سفر متى، الاصحاح:13/14

² القديس أوغسطين، مدينة الله، مج3، المصدر السابق، ص 184.

³ المصدر نفسه، ص 184-185.

⁴المصدر نفسه، ص 190-191.

كانت عليه وبالخصوص الذين كانوا أبناء الله واتبعوا الشيطان، وبالتالي صاروا هؤلاء من مدينة الشر، وعلى هذا الأساس يقول أوغسطين: "وعلى هذا النحو فإن الملكوت الذي يجمع هذين الإنسايين هو الكنيسة كما ستكون بدون الأشرار"¹، وبذلك فهم خاضعون للشيطان، ولم يتبعوا المسيح، وبالتالي فهم راسخون في النار لا محالة، وفي تلك الفترة ظلت مدينة الله خاضعة لشتى أنواع الاضطهاد والفساد إلا أنها بقيت محافظة على حبها لله والمسيح هو الآخر أيضا وبالتالي يمكن أن نستنتج أن نهاية التاريخ كانت مجيء المسيح وما يتحمله الشيطان في الدينونة الأخير من عذاب ومعه الأعداء والزباني، وبالتالي يكون الفوز لأبناء المدينة الله وحدهم والجانب التاريخي في ذلك يقر بزوال التاريخ أو نهايته التي تحتوي على الانحطاط، وبالتالي نرى البشر مصنفين إلى خير وشرير، فمنهم من ينال الجزاء بالعقاب ومنهم من ينال الجزاء بالثواب ومنها نرى أن الغلبة تكون لمدينة الله على الأرض، فالخيرين ينعمون في سعادة وسلام والأشرار في النار الأبدية أو هي ما تعرف بنهاية الأبدية، يقول القديس أوغسطين "تلك الحقبة السابعة تكون سبتنا الذي لن يكون له مساء، بل يحدد أجله أحدا أبدي يتكرس بقيامة المسيح من القبر ويرمز إلى الراحة الأبدية، راحة الروح وراحة الجسد، هناك نكون في سلام وسوف نرى، سوف نرى ونحب، سوف نحب ونسبح، ذاك ما يكون في النهاية دوننا نهاية، وأية نهايتنا لنا ستكون سوى الوصول إلى الملكوت الذي لا نهاية له"².

وهنا يمكن أن نستنتج أن الذين يرون الله ويسبحون حوله، ويحبونه، هم من يعيشون سعادة، وعلى العكس من ذلك فالضالون هم من يعيشون في النار الأبدية لا يرون وجه الله، ولا يعيشون بسلام.

¹ القديس أوغسطين، مدينة الله، مج3، المصدر السابق، ص 195.

² المصدر نفسه، ص 414.



خاتمة

خاتمة:

من خلال ما تناولته هذا البحث، توصلت إلى جملة من النتائج والتي يمكن حصرها في ما يلي:

- إن الفكر الديني المسيحي يقوم على مسألة هامة، وهذه المسألة المركزية تنطلق منها جميع الأفكار والعقائد المسيحية هي أن الإنسانية جمعاء في شقاء أبدي بسبب خطيئة آدم عليه السلام منذ نزوله إلى الأرض، لذلك أنزل الله ابنه الوحيد المسيح عيسى إلى الأرض من أجل أن يصلب ويسفك دمه ليخلص البشرية من تلك الخطيئة، إلا أن آراء بولس تقرر بأن آدم عليه السلام ورث الخطيئة لذريته من بعده.

- لقد فسر القديس أوغسطين الخطيئة على أساس خطيئة آدم التي عاقبت جميع ذريته، غير أن العناية الإلهية فاضت على الإنسانية بخيراتها وأنقذتها من الضياع، وهذا يعني لنا أن القديس قد ربط الخطيئة باللطف الإلهي وقد تبادل مسألة الخطيئة كما ذكرت في الكتاب المقدس وقام بتحليلها، لأن القصة تحمل في طياتها الكثير من التأويلات أراد القديس أوغسطين أن يطبقها في الواقع، أما في إشكالية توارث الخطيئة فإن أوغسطين يؤصل لها انطلاقاً من مفهوم الخطيئة المتوارثة مصححاً أولاً أخطاء بيلاج في هذا الموضوع، إضافة إلى حديثه عن الجزاء والقدر وعلم الله المسبق، كما نضر القديس أوغسطين مختلف المسائل الأخلاقية كالخير والشر، والحرية الإنسانية مستمدة من الحرية الإلهية، وهته الأخيرة لا تقيد الحرية الإنسانية بل تدعمها بالعقل والإرادة والمحبة، فالحرية عند القديس أوغسطين هي بمثابة الطهارة التي تخلص الإنسان من خطاياها، وكذلك خيرية الأفعال وشريرتها فسرة على أساس العناية الإلهية، فالخير هو الذي يأتينا من الله بينما الشر هو نقص يحل بالإنسان نتيجة خطاياها.

- أما التاريخ فهو أيضاً مسرحية يلعب أدوارها الإنسان تحت ظل العناية الإلهية الشاملة لكل شيء، واعتبر أن الله هو وحده محرك التاريخ ووسيلته في ذلك هي اللطف الإلهي، لذلك فإن كل الأحداث والوقائع التاريخية خاضعة لمشيئة الله، كما أن القديس أوغسطين يلغي

المصادفة لأنها لا تعني له إلا الفوضى، ومنه فلا قول بأن البشر صنعوا تاريخهم، كما عارض القول بالتعاقب الدوري مؤكداً فردانية التاريخ، ويقول بدلاً من ذلك بالخط المستقيم الذي يمتد فيه التاريخ من بدايته إلى نهايته.

- الخطيئة هي التي كانت سبب ولادة سيطرة الإنسان على أخيه الإنسان، إذ لا بد من ظهور الدولة التي تتكون من مجموعة أفراد تجمع بينهم مصلحة شريفة وخيرية، ولكي تكون دولة ممتازة لا بد لها من أن توفر العدالة، والمثل الأعلى للدولة هو المثل المسيحي، ومنه ربط القديس أوغسطين وحدد العلاقة بين الدولة والكنيسة بالدولة هي القائمة على أمور الكنيسة من أجل تحقيق مصالحها، والكنيسة تساند الدولة روحياً، أي هناك خدمات متعددة بينهما، ومنه يصل الإنسان لذلك لتحقيق سعادته، فالسعادة الحقيقية عند القديس أوغسطين هي سعادة روحية ودائمة وهي الخير المطلق والغاية القصوى لكل كائن بشري وهي معرفة الله ورؤيته.



قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتاب المقدس

ثالثاً: المصادر

- 1- اوغسطينوس، الاعترافات، نقلها إلى العربية: الخوري يوحنا الأول، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط4، 1991 .
- 2- اوغسطينوس، شرح رسالة القديس يوحنا الأولى، تر: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط4، 2001 .
- 3- اوغسطينوس، مدينة الله، تر: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2007 .

رابعاً: المراجع

- 1- إبراهيم سعيد ونخبة من اللاهوتيين، الدين المسيحي للمرحلة الثانوية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 1991، د.ط .
- 2- إبراهيم لوقا، المسيحية في الإسلام، مطبعة النيل المسيحية، القاهرة، مصر، ط1، 1983 .
- 3- اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، تر: إمام ع الفتاح إمام، دار التنوير، ط3، 2009 .
- 4- احمد شلبي، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط4، 1973 .
- 5- احمد علي عجيبة، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2006 .

- 6- احمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1975 .
- 7- برترند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثاني: الفلسفة الكاثوليكية، تر: زكي نجيب محمود، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط .
- 8- برترند راسل، حكمة الغرب، ج1، تر: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1983 .
- 9- ج.ا.ولمسن، تفسير أصول الإيمان، ج1، تر: فايز فضيل، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، مصر، د.ط .
- 10- جورج سعد، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، د.ط، 2000 .
- 11- ر.ك.سبرول، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، تر: نسيم نيكلس، مكتبة المنار، القاهرة، مصر، د.ط، 2000.
- 12- راغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج1، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د.ط .
- 13- زينب محمود الخضيرى، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1997 .
- 14- شركة ماستر ميديا، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة، مصر، ط1، 1997 .
- 15- عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، دار القلم، الكويت، لبنان، ط3، 1979 .
- 16- علي بن محمد علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1 .

- 17- علي زيغور ، اوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية في الفلسفة الوسيطية، دار اقرأ، بيروت، لبنان، د.ط، 1983 .
- 18- عوض سمعان، كفارة المسيح ، دار الطباعة القومية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- 19- فرج ابوعطا، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1991 .
- 20- فلوريد ماكلونج، كيف تنتصر على الخطيئة؟ ، تر: فريد عبد الملك، مكتبة المنار، مصر الجديدة، ط1، 1998 .
- 21- كامل محمد محمد عويضة، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995 .
- 22- كلايد تارنر، هذه عقائدنا، المنشورات المعمدانية، ط2، 1982 .
- 23- محمد احمد الخطيب، الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، قطر، د.ط.
- 24- محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1983.
- 25- نهى نجار، الديانة المسيحية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1990
- 26- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار القلم، بيروت ، لبنان، د.ط، 2003.

خامسا: المراجع باللغة الفرنسية

- 1- Maurice huftier ,libre arbitre ,liberté et péché chez saint auguestain,librairie giard,lille France, édition nom welaerts, place mgr ladeuze louvain .

سادسا: المعاجم والموسوعات

- 1- إبراهيم الانبأشوري، قاموس الآيات لتكوين العظاا، مكتبة المحبة ، القاهرة، مصر، د.ط، 1997.
- 2- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- 3- ابن منظور، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1.
- 4- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج1، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

سابعا: الرسائل الجامعية

- 1- نسبية مزواد، فلسفة الحضارة في فكر القديس أوغسطين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة، إشراف الدكتورة: حسينة حماميد، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، 2012/2011.



فہرس المحتویات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
	شكر و عرفان
أ	مقدمة
5	الفصل الأول: موقع الخطيئة في الرؤية المسيحية
6	المبحث الأول: مفهوم الخطيئة
11	المبحث الثاني: خطيئة ادم و موقف المسيحية منها
17	المبحث الثالث: الخلاص من الخطيئة
23	الفصل الثاني: الخطيئة و العناية الإلهية عند القديس أوغسطين
24	المبحث الأول: مفهوم الخطيئة عند القديس أوغسطين
33	المبحث الثاني: الخطيئة و اللطف الإلهي عند القديس أوغسطين
33	أ-توارث الخطيئة
35	ب- الجزء و القدر و علم الله المسبق
39	المبحث الثالث: الخطيئة وعلاقتها بالإرادة عند القديس أوغسطين
47	الفصل الثالث: الخطيئة وعلاقتها بالفكر السياسي و التاريخ عند القديس أوغسطين
48	المبحث الأول: الخطيئة وعلاقتها بالفكر السياسي عند القديس أوغسطين
56	المبحث الثاني: الخطيئة وعلاقتها بالتاريخ عند القديس أوغسطين
64	خاتمة
67	قائمة المصادر والمراجع
72	فهرس الموضوعات